الإسراء والمعراج

وأثرهما فى تثبيت العقيدة

رزق هيبة

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة



الإسراء والمعراج

وأثرهما فى تثبيت العقيدة

رزق هيبة



الـكـتـاب : الإسراء والمعراج واثرهما فى تثبيت العقيدة
المؤلـف : أ. / رزق هيبه
رقـم الإيـداع : ١٧٠٣٢
تـاريخ الـنشـر : ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 468 - 4

الـنـاشـر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة
الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)
ت : ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤
الـتـوزيـع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة
ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩
إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

الإهداء

إلى حفيديَّ اللذين تفتحت عيونهما على نور الحياة فى يوم واحد .. اليوم، وكان الكتاب فى مرحلة الإعداد للطبع.

إلى زياد أيمن رزق، وبنت عمته مَلَك حسام الدين حسن.

مع دعوات من القلب أن يرزقهما الله السعادة فى ظل القرآن والسيرة النبوية العطرة، ويجعلهما من الراشدين.

الجد

رزق هيبة

١٣ جمادى الثانية ١٤٢٠ هـ

٢٣ سبتمبر ١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١)

(صدق الله العظيم)

فى الآية الكريمة خبر صادق، صادر من الملأ الأعلى الذى لا ينبغى لمؤمن أن يجادل فيه، أو يشك فى صدقه، بأن الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده ونبيه المصطفى ﷺ، من مكة أم القرى حيث المسجد الحرام، إلى بيت المقدس، حيث المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله، فى رحلة روحية، وضيافة علوية، تكريما لخاتم رسل الله أجمعين، وتسرية عنه لما كان يلقاه من متاعب وآلام فى سبيل تبليغ الدعوة، وإعلاء كلمة الله فى الأرض، بين قوم طغت عليهم الماديات، وألهاهم التكاثر فى الأموال والأولاد، حتى أعماهم ظلمهم وبغيهم عن مصير محتوم، سوف يلقاه كل إنسان، يوم تبلى السرائر، ولا يجد له من دون الله من قوة ولا ناصر.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

ولقد صار حادث الإسراء والمعراج - حتى بعد مرور ما يزيد على أربعمائة وألف عام - مجالا لأسئلة كثيرة عن سر هذا الإسراء . . متى كان ؟ وكيف ؟ وما موقع هذا الحادث بين أحداث السيرة النبوية العاطرة؟

ونجيب عن هذه الأسئلة إجمالا، ثم نورد الروايات التى وردت عن الإسراء والمعراج فى سيرة ابن هشام، فهو كتاب السيرة المعتمد الذى يرجع إليه من أراد أن يكتب فصلا أو فصولا من سيرة النبى العظيم ﷺ. ثم نورد ما رواه الشيخان البخارى ومسلم، ونشير إلى تعليقات بعض العلماء والمفكرين المعاصرين على هذا الحادث، تصحيحا لفكر أو تقويما لرأى، أو تنبيها إلى ما ينبغى أن يعتقده المسلم فى معنى هذا الحادث، وهل كان هذا الحادث إعجازا على سبيل التحدى ؟

لقد كان الإسراء والمعراج رحلة روحانية أرادها الله سبحانه وتعالى تسلية لنبيه، وتسرية عنه، وتقوية لروحه ﷺ حتى يظل مستمسكا بالذى أوحى إليه، موقنا أنه على الحق المبين، واثقا بأن الله جل شأنه لن يتخلى عنه أبدا.

إن الإسراء بالنبى الكريم لم يكن معجزة متحدية، وإنما هو رحلة روحية، واستضافة من الله الرحمن الرحيم للنبى فى رحاب

ملكوته، حيث يشهد من آيات ربه الكبرى، ويتزود من ألطافه مالم يشهده بشر، ومالم يتزود به إنسان.

ولقد كثر الجدال، وأثير السؤال : هل كان الإسراء بالجسد والروح ؟ أم كان بالروح فقط ؟ والسؤال هنا يدل على نوع من السذاجة فى الفهم لا يجوز أن يتصف بها مفكر، إذ لو كان الإسراء بالروح فقط، لما كان هناك داع لكل الضجة التى أحدثها بين القوم يومذاك، ولكان مجرد رؤيا يراها إنسان فى منامه، فلا تزيد من مكانته شيئا، ولا تحرك ساكنا، كما تحرك الملأ من المشركين مكذبين وساخرين ومستهزئين.

لقد كان الإسراء بالرسول ﷺ بجسده، ولم يكن بروحه الشريف فقط، لذلك جاء التعبير القرآنى عنه بلفظ السرى الذى يدل على الستر والخفاء، وجعل هذا الستر والخفاء فى مضمون ستر آخر هو الليل.

وكما أن لكل رحلة حدودا من البداية إلى النهاية كانت هناك حدود لرحلة الإسراء، فهى تبدأ، كما يذكر القرآن الكريم، من مكة أم القرى، ومن المسجد الحرام بالذات، وتنتهى إلى المسجد الأقصى فى بيت المقدس.

أما زمانها فقد كان لحظة من لحظات ليلة مباركة لم يحددها القرآن الكريم، وإنما قال عنها منزها نفسه جل شأنه، وذاكرا قدرته على كل شىء ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾.

فالآية صريحة فى ذكرها للإسراء واضحة فى أنه حدث فعلا للنبى الكريم ﷺ، وأنه واقعة حقيقية وليس رؤيا منامية، وإلا لما استحق أن يذكره القرآن الكريم بكل ما يحيطه من تنزيه وتسبيح لله العلى القدير، وأيضا لما استحق هذا الحادث أن يختص بسورة من القرآن تسمى باسمه بين دفتى المصحف الشريف.

أما لماذا كانت هذه الرحلة؟ فإننا نقرر أولا أنها رحلة من صنع الله، وهو جل شأنه لا يسأل عما يفعل، ولكننا إذ نساير عادتنا البشرية، ونبحث لكل فعل عن السبب، لن نجد إلا أن الإسراء، والمعراج من بعده، كان نوعا من التسرية عن النبى ﷺ، وترويحا عن نفسه، وشدا لأزره، وشحنة روحية، ودفعة جديدة للاستمرار فى دعوته، فهو على الحق المبين، والله معه، ومن ورائه، مهما كان كيد الكائدين، ومكر الماكرين. ثم إن الآية القرآنية نفسها تقرر لنا سبب هذه الرحلة المباركة، فى قوله تعالى «لنريه من آياتنا».

لقد كان ﷺ يواجه خصومة عنيفة ظالمة قوية من قومه، يدعوهم إلى الرشاد والخير، فيلقونه بالتكذيب والبهت، ويرمونه بالسوء والأذى، وليس هناك حال أدعى من هذه الحال للخروج من هذا الجو الخانق الثقيل، إلى جو آخر، فيه راحة للصدر، واسترواح للنفس.

وهاهى ذى الأحداث تزداد شدة، والشر يزداد اشتعالا، فتأتمر قريش فيما بينها على أن تكون جبهة واحدة فى وجه النبى ﷺ، ومن يقف إلى جواره من قومه.

وهاهم أولاء بنو عبد المطلب، وبنو هاشم وفيهم من لا يزال على شركه، ولكن قد أبت عصبيتهم العربية - وهم رهط النبى ﷺ - أن يتخلوا عنه، وأن يسلموه لقريش تنال منه، وتستبد به.

وكان من هذا أن عمدت قريش إلى مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب، وعقدت فيما بين بطونها وأفخاذها عهداً، على ألا يتعاملوا مع بنى هاشم وبنى عبد المطلب، فلا يزوجوهم، ولا يتزوجوا منهم، ولا يعطوهم ولا يأخذوا منهم، بل هى القطيعة التامة فى كل ما يتواصل به الناس فى الحياة.

ولقد واجه بنو هاشم وبنو عبد المطلب هذه الحرب الاجتماعية والاقتصادية بشجاعة وصبر وإباء، وأبوا أن يعطوا الدنية فى هذا الامتحان الذى تعرف فيه معادن الرجال، فجمع أبو طالب عميد بنى هاشم أهله من دورهم المتفرقة وانحاز بهم إلى الشعب المسمى باسمه - شعب أبى طالب، واستمر هذا الحصار نحو ثلاث سنين، بلغ بهم الجهد فيها غايته. حتى سمع الناس أصوات صبيانهم يتضاغون جوعا من وراء الشعب.

وكان النبى ﷺ - خلال هذه المحنة - يحمل فى نفسه كل ما لقى آل عبد المطلب وآل هاشم من جهد ومشقة، فكل ما كان يقع من آلام فى محيط أفرادهم فردا فردا، وفى جماعتهم أسرة أسرة كان يقع على مشاعر النبى ﷺ، ويهيج خواطر الألم والإزعاج فى نفسه قبل أن يصل إليهم، أضعاف ما كانوا يجدونه من ألم وإزعاج.

لقد كان ﷺ رحمة للعالمين، وهو - كما يصفه ربه - بالمؤمنين رءوف رحيم .. يألم لآلام الناس جميعاً، ويود لو حملها عنهم، أو أخذها فرمى بها فى مكان سحيق لئلا تصيب إنسانا أى إنسان. فكيف بما يقع فى نفسه من هذا للآلام التى يراها تجتاح كل حين نفوس أهله وذوى قرابته القائمين على نصرته؟

وهو - ﷺ - يرى أن ما نزل بأهله من آلام وشدائد خلال تلك المحنة، إنما كان بسببه هو، وأن ذلك الذى احتملوه من أجله لم يكن بسبب العقيدة والدين، وإنما كان من أجل القرابة والدم، ولو كان من أجل العقيدة والدين لهان الأمر، ولكان على أصحاب العقيدة أن يؤدوا ضريبة الدفاع عن عقيدتهم، لقاء الثواب العظيم الذى ينتظرهم من رب العالمين.

إن الآلام النفسية والروحية، بل والجسدية التى احتملها النبى خلال تلك المحنة التى عاش فيها أهله، كانت من أقسى ما لقيه النبى

فى طريق دعوته من آلام، إنه حمل آلام أهله كلها، وإن ذهب كل منهم بنصيبه من هذه الآلام، فهم من أجل النبى ﷺ احتملوا هذه التجربة القاسية، وفى سبيل حمايته والدفاع عنه واجهوا هذه القطيعة المرة، واحتملوا عبء هذا الحصار المحكم الظالم ثلاث سنين.

ومما ضاعف من وقع هذه الآلام فى نفس الرسول ﷺ، أن سقط فى ذلك العام الجناحان اللذان كانا يرفان عليه رحمة وحنانا، ذلك أنه ما كادت تنتهى محنة الحصار، ويفسد تدبير قريش، وتنقض صحيفتها التى أبرم فيها هذا العقد الذى عقدته فيما بينها لمقاطعة بنى هاشم، بعد أن سلط الله عليها الأرضة فأكلتها جميعا إلا ما ورد فيها من ذكر اسم الله عز وجل. ماكادت تنتهى تلك المحنة حتى مات عمه أبو طالب، بعد خروجه بقومه من الشعب بستة أشهر، ثم لحقت به الزوجة البرة الرحيمة، السيدة خديجة، أولى أمهات المؤمنين - رضى الله عنها -، إذ انتقلت إلى رحاب ربها بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام.

لقد أبلى الرسول الكريم بلاءه فى الأرض، واستنفد كل ما يعطى ويأخذ منها ومن أهلها، فكان لابد من عالم آخر يتزود منه بزاد روحى، يشيع فى كيانه قوى مجددة لا تنفد على كثرة ما ينفق منها فى هذا النضال المتصل بينه وبين قومه، حتى يحكم الله بينه وبينهم بالحق، وهو خير الحاكمين . . . فكانت رحلة الإسراء والمعراج.

ولقد اخترت أن أذكر الروايات التى وردت فى سيرة ابن هشام عن الإسراء والمعراج، لأنه - كما قلت آنفا - الكتاب المعتمد عند المفكرين وكاتبى السيرة النبوية العطرة، ولأن ابن هشام الذى اشتهرت السيرة باسمه، كما قيل عنه : قد اشتهر بحمل العلم، وتقدم فى علم النسب، وجمع سيرة الرسول ﷺ من المغازى والسير لابن إسحاق، وهذبها، وهى الموجودة بين الناس، والمعروفة بسيرة ابن هشام، وبها اشتهر.

أما ابن إسحاق الذى أخذ ابن هشام عنه، فهو محمد بن إسحاق، ثبت فى الحديث عند أكثر العلماء، ولا تجهل إمامته فى المغازى والسيرة، ذكره البخارى فى تاريخه. وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق.

ثم نورد بعد ذلك رواية الإمام البخارى، وهو من هو بين أئمة الحديث، قالوا عنه أنه طلب العلم وله عشر سنين، ورد على المشايخ وله إحدى عشرة سنة، وقال هو : خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، وما وضعت فيه حديثا إلا وصليت ركعتين.

ثم نورد رواية الإمام مسلم أيضا، الذى أخذ عنه الحديث خلق كثير، وكان يقدم فى معرفة الصحيح على أهل عصره.

بعد ذلك نذكر مختصرا لما قاله الحافظ ابن كثير فى تفسيره، ولا ننسى تعليقات بعض العلماء وآراءهم فى هذه الرحلة المباركة التى لا يزال النقاش جاريا بين كثير من المفكرين بسببها، بعد مئات السنين من وقوعها. ولا يزال المسلمون يحتفون ويحتفلون بها فى كل عام تكريما لذكرى صاحبها ﷺ، الذى كرمه ربه، فاستضافه على مائدة الرحمة والرضوان، ومد له بساط الأنس والمحبة والمودة، ليعود مواصلا رسالته، ناشرا نور السماء على الأرض، إلى أن أتم الله نوره ونعمته، وأكمل دينه، وتكفل بحفظه إلى أن تقوم الساعة، فجزى الله عنا محمدا ﷺ خير ما يجزى نبى عن قومه، فبه اهتدينا، وبسنته اقتدينا، وإنا على طريقه لسائرون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

رزق هيبة

هل الإسراء والمعراج معجزة ؟

للإجابة عن ذلك نحاول أولا معرفة حقيقة المعجزة. .

يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة فى كتابه «العقيدة الإسلامية وأسسها» :

لقد علمنا من تاريخ الأمم أن كل أمة جاء فيها رسول يدعى النبوة كانت تطلب منه برهانا على صدقه، ومن حقها أن تطلب هذا البرهان، إن لم يحصل لها العلم بنبوته عن طريق آخر، وذلك للتثبت من صحة نبوته، ولكن دون تعنت أو شطط، فيأتى البرهان على صورة معجزة ما، سواء كان ذلك نفس ما يطلبونه، أو شيئا غير الذى يطلبونه.

ويشهد لذلك قول الرسول ﷺ : **«ما من نبى إلا أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحى إلى، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»**.

فما هى المعجزة ؟

هى أمر ممكن عقلا، خارق للعادة يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده ليثبت بذلك صدق نبوته وصحة رسالته.

وقد كان الله سبحانه وتعالى يستجيب لطلب المعجزات من الأمم، أو يجرى بعض المعجزات على يد أنبيائه ورسله دون طلب صريح من أقوامهم، لكن حالهم تستدعى إظهارها.

وإنما يجرى الله سبحانه وتعالى بحكمته العالية هذه المعجزات على أيدى رسله باعتبار أن الشواهد المادية والمعنوية الخارقة للمعتاد المألوف فى قوانين الكون وأنظمته تضع الباحث عن الحق أمام البرهان الواضح الدال على صدق الرسول فى دعواه الرسالة.

ذلك لأن الذين يتحداهم الرسول بالمعجزة لا يستطيعون الإتيان بمثلها منفردين أو مجتمعين، فى حدود قدراتهم الممنوحة لهم بحسب مستواهم.

وإذا استجاب الله لطلب المعجزة، أو أظهرها من غير طلب تم أمران :

الأمر الأول : أن يجرى الله على يد رسوله أمرا خارقا للعادة، لا يتمكن هذا الرسول بصفته البشرية بالغا ما بلغت به القوة الجسمية أو الروحانية من فعله أو القيام بمثله، بحسب المعتاد المألوف فى قوانين

الكون وأنظمته، لولا أن الخالق العظيم أجراه على يديه، تأييدا له فى أنه رسول صادق فيما ينقل عن ربه.

الأمر الثانى : أن يتحدى الرسول قومه بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا فى شك من صدق هذه الشهادة الربانية له، فإن ظهر لهم عجزهم عن المعارضة علموا بأن ذلك من فعل الله ليشهد بلسان حال المعجزة أن هذا الإنسان الذى ظهرت على يديه هذه المعجزة رسول الله حقا، وهو صادق فيما يبلغ عن ربه.

والمعارضة لا تتم إلا بأن يأتى القوم بمثل المعجزة، وعلى الصورة التى أجريت المعجزة بها. فإن عورضت بمثلها ولكن على صورة أخرى تدخل ضمن حدود القدرات البشرية والإنسانية فلا تكون معارضة صحيحة. وذلك كمن يعارض معجزة سيدنا عيسى عليه السلام فى شفاء المرضى باللمس، بأن يستعمل الوسائل الطبية فى شفاء مثل المرض الذى كان يشفى منه عيسى عن طريق اللمس بإذن الله.

ومما تقدم يتبين لنا أن المعجزة من االأمور الممكنه عقلا، فلا تكون إذن من الأمور المستحيلة عقلا، كما يتبين لنا مجمل الشروط التى يجب توافرها فى خوارق العادات حتى تكون من المعجزات وهى كما يلى :

١- أن يتحقق كونها من الأمور الخارقة للمعتاد المألوف فى قوانين الكون وأنظمته الدائمة.

٢- أن يتحدى بها الرسول من تناولتهم دعوته وشملتهم رسالته، فإن جرى خارق العادة على يد غير مدعى الرسالة المتحدى بالإتيان بمثلها فإنها لا تكون معجزة، وقد تكون كرامة.

٣- أن تعجز الأمة عن المعارضة على الصورة الخارقة التى تم تحديهم بها.

ولقد كانت المعجزة المتحدية التى جاء بها النبى ﷺ هى القرآن الكريم، إن القرآن قد تحدى الناس جميعا أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه، فما استطاع واحد منهم أو جماعة منذ البعثة حتى عصرنا هذا أن يعارضه بكتاب مثله أو بسورة منه.

فهل يعتبر حادث الإسراء والمعراج معجزة للنبى ﷺ ؟

الحق أنه عليه الصلاة والسلام، لم يتحد أحدا بهذه الرحلة، ولم يطلب من المشركين أن يعارضوه، فيأتوا بمثلها، ولذلك إذا قلنا أنها معجزة فإننا نقول ذلك على سبيل المجاز، فهى أمر ممكن عقلا خارق للعادة فعلا، ولكنه لم يكن للتحدى، ولم يره الناس بأعينهم حتى يؤمنوا به كإحدى معجزات النبوة، وإنما كان - كما نوهنا - تسلية للنبى، واختباراً للمسلمين المقبلين على مراحل أخرى من الجهاد يعلمها الله، كالهجرة وما بعدها من بناء دولة الإسلام الثابت الدعائم، القوى الأركان. . . .

★ ★ ★

ما قبل الإسراء

الإسراء والمعراج يمثلان فصلا من السيرة النبوية العاطرة، وقد سبقهما فصول مضيئة بنور الإيمان، ومضاء العزيمة، والإصرار على الجهاد لإعلاء كلمة الله، وعندما ضاقت مكة بالمسلمين بدءوا يتطلعون إلى أوطان أخرى يجدون فيها السكينة والأمن والسلام، وأرض الله واسعة، وفى الحبشة ملك لا يضام من نزل أرضه، فاتجهوا إلى هناك مهاجرين بدينهم، فارين بعقيدتهم، إلى حيث يجدون الأمن والقرار.

يقول ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق : «فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنا وقرارا، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة ابن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى عبد المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا،

ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم».

ولبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة المكرمة، ولا بيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ.

واشتد البلاء على المؤمنين، وعلى بنى هاشم وبنى عبد المطلب، حتى كان الأطفال يتضاغون من شدة الجوع، ولقد كانت المقاطعة- كما روى ابن إسحاق - كاملة، تشمل كل العلاقات الاجتماعية، وما يقوم عليها من أسس للمعيشة والحياة السوية.

وأظهر الله آياته، فجاءت الأرضة، وأكلت كل كلمة فيها اسم لله تعالى، أو صفة من صفاته، التى عاهدوا الله تعالى عليه أن تكون القطيعة دائمة، وكأن الله تعالى ألهم الأرضة أن تعلمهم أن اسم الله تعالى لا يصح أن يكون فى وثيقة ظلم وفسق عن أمر ربهم، وقد أطلع الله تعالى محمدا ﷺ على ما فعلت الأرضة بإلهام من الله رب العالمين.

وفى رواية أخرى أن الأرضة قد أكلت كل ما فى الصحيفة من

مكتوب إلا ماكان من ذكر لاسم الله تعالى، وكأنها إشارة إلى أنه جل شأنه هو الباقى القادر الذى لا يضام من كان فى حماه.

وفى الوقت نفسه تشققت الرحمة من قلوب بعض الرجال فى قريش، فبعد أن مرت ثلاث سنين عاشها المسلمون فى تلك القطيعة الكاملة، تلاوم رجال من بطون قريش، رأوا أنهم قد قطعوا الرحم، واستخفوا بالحق، فاجتمع أمرهم على نقض الصحيفة والبراءة مما جاء فيها، والعمل على إخراج هؤلاء المحاصرين فى الشعب إلى حياة الناس الكريمة، بعد مالاقوا من الجهد والعنت والعناء.

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب : ياعم إن ربى الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان، فقال أبو طالب : أربك أخبرك بهذا ؟ قال النبى ﷺ : نعم. قال أبو طالب : فوالله ما يدخل عليك أحد . .

ثم خرج أبو طالب إلى قريش، فقال : يامعشر قريش، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخى، لتفعلوا به ما تشاءون.

واستمع القوم إلى مقالة أبى طالب وتأملوها، ولم تصدق عقولهم القاصرة أن لهذا الدين ربا قادرا على حمايته، فقالوا : رضينا بما تقول يا أبا طالب، فتعاقدوا على ذلك، فلئن كان محمد صادقا فيما يقول فى أمر الأرضة، فسيخرج هو والمؤمنون معه من ضيق الشعب إلى سعة الحياة وبراحها، وإن كان غير ذلك فلقد رضى أبو طالب بأن يدفع إليهم ابن أخيه يفعلون به ما يشاءون.

وذهبوا إلى جوف الكعبة يبحثون عن صحيفتهم التى كتبوها، وتعاقدوا عليها، وكانت المفاجأة الحقيقية لهم أن يجدوا الأمر كما قال رسول الله ﷺ، فقد أكلت الأرضة الصحيفة، ولم تترك منها إلا اسم الله تعالى الذى كتبوه فيها «باسمك اللهم» وبدلا من الوفاء بما تعاهدوا عليه مع أبى طالب زادوا شرا وانقلبوا ناكثين للعهود ناقضين للعقود، وهنا ظهرت رحمة الله فى صورة هؤلاء الرهط من قريش الذين تلاوموا فى أمر الصحيفة ورأوا أنهم بذلك قد قطعوا أرحامهم، وتعاهدوا هم من جهة أخرى على نقض هذه الصحيفة الظالمة الجائرة، ونقضت الصحيفة وخرج المسلمون من الشعب بعد أن فكت قريش حصارها، وأذعنت لرأى الحكماء فيها.

وكما قال العرب قديما : رب ضارة نافعة، فلقد كانت هذه المقاطعة سببا فى أن تسامع الناس بالإسلام ودعوته، وانتشر بين

العرب خبر ذلك النبى الذى أتى بدين جديد غير ما يعهدونه فى جزيرتهم، ووصلت الدعوة المحمدية إلى القبائل فى كل أماكنهم القاصية والدانية، فاهتدى منهم من اهتدى ، ودعا غيره إلى الهداية، ومن لم يؤمن تحدث مع غيره مظهرا كفره بهذا الدين الذى ظهر، وفى كلتا الحالتين علم بالدعوة من ارتضاها ومن لم يرتض بها، وحملها الجميع ونشروها بينهم سواء كانوا من الراضين عنها المتبعين لها أم من المعرضين الشانئين المحاربين لله ورسوله. . فلقد كانوا كلهم ألسنة تتحدث بهذا النبأ الذى جعل الآلهة واحدا، ماله من شريك ولا ند ولا نظير، ليس كمثله شىء، وهو السميع البصير.

لقد انتهت السنون العجاف، وذهبت أيام القطيعة، ولكنها تركت أثرها فيما جاء بعدها من أيام، إذ تلاها عام الحزن، وياله من عام، وتسميته بعام الحزن لم تكن إشفاقا من أحد، ولكنها تسمية النبى ﷺ للعام الذى توفى فيه شيخ البطحاء أبو طالب بن عبد المطلب، وأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، وقد كانت أبر زوج لأكرم زوج، لذلك سمى النبى ﷺ ذلك العام عام الحزن؛ لأنه فقد فيه حبيبين، ولم ير بعدهما من يعوضهُ عنهما من ذوى صهره وقرابته.

يقول ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا فى عام و احد، فتتابعت على رسول الله ﷺ

المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صديق على الإسلام يشكو إليها ما يلاقيه، فتخفف عنه من آلامه وتواسيه فى أحزانه. . . وبهلك عمه أبى طالب، وكان له عضدا وحرزا فى أمره، ومنعة وناصرا على قومه، وذلك قبل أن يهاجر إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابا، ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكى يابنية فإن الله مانع أباك. ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات طالب.

وأمام هذا العنت والأذى كان لابد أن يتحرك الرسول بنفسه خارجا عن حدود مكة، لعله يجد من قبائل العرب من يمد له يد النصرة والمساعدة، فكانت رحلته إلى الطائف التى يحدثنا عنها ابن هشام فيقول : قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة له من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده، فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاء له من نصرته على الإسلام، والقيام له على من خالفه من قومه،

فقال له أحدهم : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك؟ وقال آخر : والله لا أكلمك أبدا . . لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف. وقد قال لهم : إذ قد فعلتم فاكتموا عنى. . ولكنهم لم يفعلوا، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع إليه الناس وألجئوه إلى حائط - بستان - لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة. وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبلة- شجرة عنب - فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان مالقى من سفهاء أهل الطائف.

يقول ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لى: « **اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولاقوة إلا بك** ».

ثم قدم رسول الله ﷺ إلى مكة، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبى مرسل، ويسألهم أن يصدقوه، ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به.

ونعود إلى موقفه ﷺ وهو عائد من الطائف، وليس له من حمى إلا حمى الله عز وجل، وقد فاضت نفسه بذلك الدعاء الضارع، فى صدق ويقين بأنه «**إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى**».

كان الدعاء حارا عميقا، منبعثا من نفس مكلومة جريحة، ولكنها راضية، وكيف لا ترضى وهى نفس سيد الخلق وخاتم الرسل الذى أوحى إليه ربه فيما أوحى﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [1]. إنه دعاء نفس تقوم بأعظم دعوة فى الوجود، فيهون فى سبيلها كل أمر مهما كان عنيفا، وكل شدة مهما تكن بالغة، فهو ﷺ، يقبل ما قدره الله تعالى وما يرضاه، ولا يهمه شيء فى الوجود، إلا أن يغضب عليه رب هذا الوجود، وما دون ذلك يهون. . و «**إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى**».

وكانت جائزة هذه النفس الراضية أن يستجيب الله دعاءها، ويبين لنبيه أنه معه، وفى أشد الأوقات ظلاما يضيء ذلك القلب النقى

(١) سورة الضحى: الآية ٥.

بالرضا، ويأتيه العون من رب الكون، كما ترويه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، إذ قالت لرسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟

قال - ﷺ - : « ما لقيت من قومك . . إذ عرضت نفسى على ابن عبد باليل، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فنادانى فقال : « إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ». ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : « يامحمد، قد بعثنى الله إليك، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى ما شئت، إن شئت فأطبق عليهم الأخشبين ـ جبلين بمكة المكرمة ـ »، فقال رسول الله ﷺ : « إنى لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ».

لقد استجاب الله تعالى لدعاء نبيه، وقد ذكر فى دعائه ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على الناس، فبين الله تعالى له أنه يضع فى يده كل القوى، وأنه لا يمكن أن يهون والله تعالى معه، وأنه لم يتركه لعدو ولا لولى، بل إن أمره عليه الصلاة والسلام إلى الله سبحانه، وهو القاهر

فوق عباده، ومن كان معه القاهر فوق عباده فإنه لا يهون أبدا، مهما خاض من غمرات، أو لاقى من صعوبات، ولقد كان الله مع نبيه دائما، ولئن ضاقت به الأرض فى بعض الأوقات فلتتسع له رحاب السموات، فى ضيافة لم ينلها من قبله إنس ولا جان، إلى هناك حيث سدرة المنتهى ولا منتهى، ولنترك ابن هشام يذكر لنا ماورد فى هذه الرحلة من روايات.

وقبل أن يحملنا ابن هشام معه إلى هذه الرحلة العلوية ينبغى أن نجيب على سؤال مهم فى هذا البحث . . يقول : ما هو الإسراء ؟ وما هو المعراج ؟ فنقول :

★ **الإسراء** : هو ذهاب الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى مدينة القدس، فى جزء من الليل، ثم رجوعه إلى المسجد الحرام فى الليلة نفسها.

★ **والمعراج**: هو صعوده ﷺ من بيت المقدس، إلى السموات السبع، وما فوقهن، ثم رجوعه إلى بيت المقدس فى جزء من الليل.

- ثم نطرح سؤالاً آخر يقول : كيف ثبت الإسراء والمعراج ؟.

ونجيب عن هذا السؤال قائلين :

- لقد ثبت الإسراء بالنص القرآنى الشريف، وبالأحاديث النبوية الصحيحة التى سترد رواياتها فيما يلى من فصول هذا الكتاب.

أما القرآن ففى قوله تعالى:

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1].

وأما المعراج فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة التى رواها الثقات العدول، وتلقتها الأمة بالقبول، ولو لم يكن إلا اتفاق صاحبى الصحيحين: البخارى ومسلم على تخريجها فى صحيحيهما لكفى، فكيف وقد خرجها غيرهما من أصحاب الكتب الحديثية المعتمدة، وكتب السير المشهورة..

ويرى بعض العلماء أن المعراج، وإن لم يثبت بالقرآن صراحة ولكنه أشير إليه فى سورة النجم فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [2]

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) سورة النجم: الآيات ١٣ - ١٨.

* أما المرة الثانية التى رأى فيها النبى عليه الصلاة والسلام جبريل على هيئته التى خلقه الله بها، فكانت ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى، وهى المشار إليها فى سورة النجم، بقوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى﴾.

★ ★ ★

فقد روى عن ابن مسعود، وأم المؤمنين السيدة عائشة - رضى الله عنهما - أن المرئى هو جبريل عليه السلام، رآه رسول الله ﷺ على هيئته التى خلق عليها، ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين : الأولى وهو نازل من غار حراء، والثانية ليلة المعراج، قال العلامة ابن كثير فى تفسيره ما ملخصه : وقد رأى النبى ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التى خلقه الله عليها مرتين : الأولى عقب فترة الوحى والنبى نازل من غار حراء، فرآه على صورته، له ستمائة جناح، قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترب منه، وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أوحى، وإليه أشار الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[1] .

*ولنلاحظ هنا كما قال الشيخ محمد أبو شهبة : أن الضمير فى قوله «فأوحى» عائد على جبريل وهو الظاهر المقبول لأنه المتحدث عنه، وقيل عائد على الحق تبارك وتعالى، وهو بعيد مردود، لما فيه من تفكيك النظم الكريم، وأما الضمير فى «عبده» فهو راجع إلى الله سبحانه وتعالى فحسب، أى فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ماأوحى، أو، فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بوساطة جبريل عليه السلام.

(١) سورة النجم: الآيات ٥ - ١٠.

ذكر الإسراء

كما ورد فى سيرة ابن هشام

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال : ثم أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش، وفى القبائل كلها.

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه ﷺ، عن عبد الله بن مسعود، وأبى سعيد الخدرى، وعائشة زوج النبى ﷺ، ومعاوية بن أبى سفيان، والحسن بن أبى الحسين البصرى، وابن شهاب الزهرى، وقتادة، وغيرهم من أهل العلم، وأم هانئ بنت أبى طالب، ما اجتمع فى هذا الحديث، كما يحدث عنه بعض ماذكر من أمره حين أسرى به، ﷺ، وما كان فى مسراه، وما ذكر عنه من بلاء وتمحيص، وأمر من الله عز وجل فى قدراته وسلطانه، فيه عبرة لأولى الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله

سبحانه وتعالى على يقين،فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين، من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التى يصنع بها ما يريد.

ويبدأ ابن هشام فى تفصيل هذه الروايات، فيذكر لنا كل رواية على حدة، كما يرويها صاحبها عما عرفه من ذكر الإسراء والمعراج.

١- رواية عبد الله بن مسعود : قال :

كان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى عنه يقول : أتى رسول الله ﷺ بالبراق - وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله - تضع حافرها فى منتهى طرفها، فحمل عليها، ثم خرج به صاحبه، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء قد جمعوا له، فصلى بهم، ثم أُتىِ بثلاثة آنية : إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. قال : فقال رسول الله ﷺ : فسمعت قائلا يقول حين عرضت على : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته، وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته.

قال: فأخذت إناء اللبن، فشربت منه، فقال لى جبريل عليه السلام : هديت، وهديت أمتك يا محمد.

٢- رواية الحسن:

قال ابن إسحاق : وحدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم فى الحجر، إذ جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه، فجلست فلم أر شيئا، فعدت إلى مضجعى، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه، فجلست فلم أر شيئا، فعدت إلى مضجعى، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى فقمت معه، فخرج بى إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار، فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع يده فى منتهى طرفه، فحملنى عليه، ثم خرج معى، لا يفوتنى ولا أفوته.

٣ - رواية قتادة :

يقطع ابن إسحاق رواية الحسن ليحدثنا عن قتادة أنه قال : حدثت أن رسول الله ﷺ، قال : لما دنوت منه لأركبه شمس- أى حرن - فوضع جبريل يده على معرفته، ثم قال : ألا تستحى يابراق مما تصنع، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد، أكرم عليه منه، قال : فاستحيا حتى ارفض عرقا . . ثم قر حتى ركبته.

٤- ويعود ابن إسحاق إلى رواية الحسن يقول :

قال الحسن فى حديثه : فمضى رسول الله ﷺ، ومضى جبريل عليه السلام معه، حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم

وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء، فأمهم رسول الله ﷺ، فصلى بهم، ثم أتى بإناءين، فى أحدهما خمر، وفى الآخر لبن، قال : فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فشرب منه، وترك إناء الخمر، قال : فقال له جبريل: هديت للفطرة. وهديت أمتك يا محمد، وحرمت عليكم الخمر، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر، فقال أكثر الناس : هذا والله الإمر - أى الشىء العجيب - البين. والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة، وشهرا مقبلة، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة ؟ قال : فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا له : هل لك ياأبا بكر فى صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس، وصلى فيه ورجع إلى مكة.

فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه، فقالوا : بلى، هاهو ذاك فى المسجد يحدث به الناس، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق . . فما يعجبكم فى ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فقال : يانبى الله، أحدثت هؤلاء القوم، أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال: نعم . . قال: يا نبى الله فصفه لى . . فإننى قد جئته، قال الحسن : فقال رسول الله ﷺ : فرفع لى حتى نظرت إليه - فجعل رسول الله ﷺ

يصفه لأبى بكر، ويقول أبو بكر : صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئا قال: صدقت، أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبى بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق . . فيومئذ سماه الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾[1].

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله ﷺ، وما دخل فيه من حديث قتادة، وتبقى أحاديث أخرى بعضها ينفى إسراء النبى ﷺ بجسده، كما ورد فى حديث عائشة ومعاوية رضى الله عنهما . .

٥- رواية عائشة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى آل أبى بكر، أن عائشة زوج النبى ﷺ كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.

(١) سورة الإسراء: الآية ٦.

٦ - رواية معاوية :

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة.

٧ - هل كان الإسراء رؤيا ؟

لم ينكر ابن إسحاق قول عائشة ولا قول معاوية رضى الله عنهما، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت فى ذلك، قول الله تبارك وتعالى : ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾ ولقوله تعالى فى الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : ﴿ يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾. ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظا ونياما.

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - يقول : تنام عيناى وقلبى يقظان، والله أعلم أى ذلك كان جاءه، وعاين فيه ما عاين، من أمر الله، على أى حاليه كان نائما أو يقظان، كل ذلك حق وصدق.

٨ - رواية أم هانئ :

قال محمد بن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها، واسمها هند، فى مسرى رسول الله ﷺ،

أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى، فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ﷺ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى، ثم جئت بيت المقدس، فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين. ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فتكشف عن بطنه كأنه قبطية مطوية، فقلت له: يا نبى الله، لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك، ويؤذوك. قال: والله لأحدثنهموه، قالت : فقلت لجارية لى حبشية : ويحك، اتبعى رسول الله ﷺ حتى تسمعى ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم، فعجبوا وقالوا : ما آية ذلك يامحمد ؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط !! قال : آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا، فأنفرهم حس الدابة، فند لهم بعير فدللتهم عليه، وأنا متوجه إلى الشام. ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بنى فلان، فوجدت القوم نياما، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء، فكشفت غطاءه، وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم الآن يصوب من البيضاء، ثنية التنعيم، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان، إحداهما سوداء والأخرى برقاء.

قالت : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء، ثم غطوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما كان، ولم يجدوا فيه ماء. وسألوا الآخرين وهم بمكة، فقالوا : صدق والله، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر، وند لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه، حتى أخذناه.

★ ★ ★

ذكر المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لما فرغت مما كان فى بيت المقدس، أتى بالمعراج، ولم أر شيئا قط أحسن منه، وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدنى صاحبى فيه، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء، يقال له : باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة يقال له : إسماعيل، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك. قال : يقول رسول الله ﷺ حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو، فلما دخل بى قال : من هذا ياجبريل ؟ قال : محمد . . قال : أو قد بعث ؟ قال : نعم. قال : فدعا لى بخير . . وقاله.

★ قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله ﷺ، أنه قال : تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقنى ملك إلا ضاحكاً مستبشراً، يقول خيرا ويدعو به، حتى لقينى

ملك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل، من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك، ولم أر منه من البشر ما رأيت من غيره، فقال لى جبريل: أما إنه لو ضحك لأحد كان قبلك، أو كان ضاحكا لأحد بعدك، لضحك إليك . . ولكنه لا يضحك، هذا مالك صاحب النار، فقال رسول الله ﷺ، فقلت لجبريل : وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم، ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ : ألا تأمره أن يرينى النار ؟ فقال : بلى، يا مالك، أر محمدا النار. قال : فكشف عنها غطاءها، ففارت، وارتفعت، حتى ظننت لتأخذن ما أرى، قال : فأمره، فقال لها : اخبى، فرجعت إلى مكانهاالذى خرجت منه، فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل، حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها.

قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه : إن رسول الله ﷺ قال : لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيرا، ويسر به ويقول : روح طيبة، خرجت من جسد طيب، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أف، ويعبس بوجهه، ويقول : روح خبيثة، خرجت من جسد خبيث. قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم، تعرض عليه أرواح ذريته، فإذا

مرت به روح المؤمن منهم سر بها، وقال : روح طيبة، خرجت من جسد طيب، وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها، وساءه ذلك، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث.

قال : ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل، فى أيديهم قطع من نار كالأفهار، يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما.

قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون، يمرون عليهم كالإبل المهيومة، حين يعرضون على النار، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك. قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا. قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون السمين الطيب. قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ماحرم الله عليهم منهن.

قال: ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء ياجبريل؟ قال هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم.

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن عمرو عن القاسم بن محمد، أن رسول الله ﷺ قال : اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فأكل حرائبهم، واطلع على عوراتهم.

ثم رجع إلى حديث أبى سعيد الخدرى، قال: ثم أصعدنى إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، قال ثم أصعدنى إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر، قال: قلت: من هذا ياجبريل ؟ قال: هذا أخوك يوسف ابن يعقوب. قال: ثم أصعدنى إلى السماء الرابعة فإذا فيها رجل فسألته من هو ؟ قال: هذا إدريس - قال: يقول رسول الله ﷺ - ورفعناه مكانا عليًّا - قال : ثم أصعدنى إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية، عظيم العثنون، لم أر كهلا أجمل منه، قال قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا المحبب فى قومه، هارون بن عمران . . قال: ثم أصعدنى إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى كأنه من رجال شنوءة، فقلت له من هذا يا جبريل؟ قال : هذا أخوك موسى ابن عمران .. ثم أصعدنى إلى السماء السابعة فإذا فيها كهل جالس على كرسى إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة، لم أر رجلا أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه، قال : قلت: من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . . قال : ثم دخل بى الجنة، فرأيت فيها جارية لعساء، فسألتها: لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتها، فقالت : لزيد بن حارثة، فبشر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة.

قال ابن إسحاق : ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ، فيما بلغنى أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا ياجبريل ؟ فيقول : محمد. فيقولون : أو قد بعث إليه ؟ فيقول : نعم . . فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم.

قال رسول الله ﷺ : فأقبلت راجعا، فلما مررت بموسى بن عمران، ونعم الصاحب كان لكم، سألنى : كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت : خمسون صلاة كل يوم، فقال : إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . . فرجعت، فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى، فوضع عنى عشراً، ثم انصرفت، فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك، فرجعت فسألت ربى فوضع عنى عشرا، ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت إليه : فارجع فاسأل ربك، حتى انتهت إلى أن وضع ذلك عنى إلا خمس صلوات فى كل يوم وليلة، ثم رجعت إلى موسى، فقال لى مثل ذلك، فقلت : قد راجعت ربى، وسألته حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل.

فمن أداهن منكم إيمانا واحتساباً، كان له أجر خمسين صلاة.

★ ★ ★

حديث الإسراء والمعراج

كما ورد فى صحيح البخارى

عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما، أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به، قال: بينما أنا فى الحطيم - وربما قال فى الحجر - مضطجعاً - وفى بعض الروايات «بين النائم واليقظان - إذ أتانى آت فقدَّ - قال : وسمعته يقول ، فشق ما بين هذه إلى هذه، قال الراوى: من ثغرة نحره إلى شعرته، فاستخرج قلبى، ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار، أبيض. قال الراوى - وهو البراق - يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بى جبريل، حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل : من هذا ؟ قال: جبريل ؟ قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء. ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال : مرحبا بالابن الصالح، والنبى الصالح.

★ ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . . قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردا، ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف. قال : هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل : من هذا ؟ قال: جبريل. قيل ومن معك ؟ قال : محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . . قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت إذا إدريس قال : هذا إدريس، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح، والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل. قيل : ومن معك؟ قال : محمد. قيل : وقد أرسل

إليه ؟ قال : نعم . . قيل :مرحبا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا هارون، قال : هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال : جبريل. قيل : من معك ؟ قال: محمد. قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا موسى. قال: هذا موسى، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له : ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى.

ثم صعد بى إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل : من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: نعم. قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلم عليه. فسلمت عليه، فرد السلام، فقال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح.

قال النبى ﷺ : ثم رفعت لى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هَجَر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال : هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات.

ثم رفع لى البيت المعمور، فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. ثم أتيت بإناء من الخمر وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال:هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك.

ثم فرضت على الصلوات، خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم. وإنى والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عنى عشرا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضعنى عشرا، فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم. فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم .. قال : إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم، وإنى قد جربت الناس قبلك، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قلت : سألت ربى حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم. . قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادى.

★ وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنه للناس﴾ قال : هى رؤيا عين، أُريَها النبى ﷺ

ليلة أسرى به إلى بيت المقدس قال ﴿والشجرة الملعونة فى القرآن﴾ هى شجره الزقوم.

★ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن النبى ﷺ قال : فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام، ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه. ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح. قال : من هذا ؟ قال:جبريل. قال : هل معك أحد؟ قال : نعم، معى محمد فقال : أرسل إليه ؟ قال : نعم. .

يقول النبى ﷺ : فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح. . قلت لجبريل: من هذا ؟ قال : هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله، نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله، أهل النار. فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.

حتى عرج بى السماء الثانية، فقال لخازنها : افتح. فقال له خازنها مثل ماقال الأول ففتح، قال أنس : فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم، صلوات الله عليهم، ولم يثبت

كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا، وإبراهيم فى السماء السادسة، قال أنس : فلما مر جبريل عليه السلام بالنبى ﷺ بإدريس، قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا إدريس. . ثم مررت بموسى، ثم مررت بعيسى فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى. ثم مررت بإبراهيم، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح، قلت : من هذا ؟ قال هذا إبراهيم ﷺ.

وكان ابن عباس، وأبو حبة الأنصارى يقولان : قال النبى ﷺ : ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام.

قال أنس بن مالك، قال النبى ﷺ : ففرض الله عز وجل على أمتى خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة، قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. . فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت : وضع شطرها. . فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال : هى خمس وهى خمسون لايبدل القول لدى، فرجعت إلى موسى، فقال : ارجع إلى ربك. قلت : استحييت من ربى.

ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان ما أدرى ما هى ؟ ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.

حديث الإسراء والمعراج

كما ورد فى صحيح مسلم

عن الإسراء برسول الله ﷺ والعروج به إلى السموات العلى أورد الإمام مسلم عشرين رواية نثبتها هنا نقلا عن كتاب «فتح المنعم، شرح صحيح مسلم» للدكتور موسى شاهين لاشين، ونتبعهابشروح مقتبسة من الكتاب نفسه فى فقه الحديث.

١- عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء، قال : ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل : اخترت الفطرة.

ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل. قيل : ومن معك ؟ قال محمد. قيل : وقد بعث إليه ؟

قال : قد بعث إليه؟ ففتح لنا. فإذا أنا بآدم، فرحب بى، ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه. . ففتح لنا، فإذا أنا بابنى الخالة - عيسى ابن مريم، ويحيى ابن زكرياء، صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لى بخير، ثم عرج بى إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل : من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام. إذا هو قد أعطى شطرى الحسن، فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل. . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد. . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. . فإذا أنا بإدريس، فرحب، ودعا لى بخير، قال الله عز وجل : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [1].

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل. . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون عليه السلام، فرحب بى، ودعا لى بخير.

---

(١) سورة مريم : الأية ٥٧.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل. قيل: ومن معك؟ قال : محمد. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى عليه السلام، فرحب ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل. فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: من معك ؟ قال محمد. قيل وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام، مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال. قال : فلما غشيها من أمر الله ماغشى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك. فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم، قال : فرجعت إلى ربى، فقلت : يارب، خفف على أمتى، فحط عنى خمسا. . فرجعت إلى موسى، فقلت : حط عنى خمسا. . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك

فاسأله التخفيف، قال : فلم أزل أرجع بين ربى - تبارك وتعالى - وبين موسى عليه السلام، حتى قال : يامحمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإذا عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة.

قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام، فأخبرته، فقال : ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ، فقلت: قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه.

٢ - وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أُتيت، فانطلقوا بى إلى زمزم. فشرح عن صدرى، ثم غسل بماء زمزم، ثم أنزلت.

٣- وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه، فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره - فقالوا : إن محمدا قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره.

٤- عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه، وهو قائم فى المسجد الحرام، وساق الحديث السابق بقصته، وقدم فيه شيئا وأخر وزاد ونقص.

٥- وعن أنس بن مالك، قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج سقف بيتى، وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام، ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغها فى صدرى، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى، فعرج بى إلى السماء، فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا: افتح. . قال : من هذ ؟ قال : جبريل، قال : هل معك أحد؟ قال نعم. . معى محمد . قال: فأرسل إليه ؟ قال : نعم . . ففتح، قال: فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، قال : فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح، قال : قلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار.. فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.

قال : ثم عرج بى جبريل، حتى أتى السماء الثانية، فقال لخازنها : افتح. قال : فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا.

ففتح. فقال أنس بن مالك : فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس، وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين. ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم عليه السلام فى الدنيا، وإبراهيم فى السماء السادسة، قال : فلما مر جبريل ورسول الله ﷺ بإدريس صلوات الله عليه وسلامه قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح، قال : ثم مر، فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا إدريس. قال : ثم مررت بموسى عليه السلام فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح. قال: قلت: من هذا ؟ قال : هذا موسى. ثم مررت بعيسى، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح، قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ابن مريم. قال : ثم مررت بإبراهيم عليه السلام، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح، قال : قلت : من هذا قال : هذا إبراهيم.

٦- قال ابن شهاب : وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس، وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال رسول الله ﷺ : ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام. قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ : ففرض الله على أمتى خمسين صلاة. قال : فرجعت بذلك حتى أمر بموسى، فقال موسى عليه السلام : ماذا فرض ربك على أمتك ؟ قلت : فرض عليهم خمسين صلاة. قال : قال لى موسى عليه السلام،فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال : فراجعت ربى فوضع شطرها، قال : فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته، قال :

راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. قال : فراجعت ربى، فقال : هى خمس، وهى خمسون، لا يبدل القول لدى. قال : فراجع ربك، فقلت: قد استحيت من ربى.

قال : ثم انطلق بى جبريل حتى نأتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان، لا أدرى ما هى. قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.

٧- عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة قال : قال لى نبى الله ﷺ : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت، فانطلق بى، فأتيت بطست من ذهب، فيها من ماء زمزم، فشرح صدرى إلى كذا وكذا فاستخرج قلبى، فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه، ثم حشى إيمانا وحكمة، ثم أتيت بدابة أبيض يقال له : البراق. فوق الحمار ودون البغل، يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل : من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قال: ففتح لنا، وقال: مرحبا به ولنعم المجىء جاء. قال: فأتينا على آدم عليه السلام. وساق الحديث بقصته. وذكر أنه لقى فى السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام، وفى الثالثة يوسف، وفى الرابعة إدريس، وفى

الخامسة هارون عليه السلام، قال : ثم انطلقنا، حتى انتهينا إلى السماء السادسة، فأتيت على موسى، فسلمت عليه، فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح. فلما جاوزته بكى. فنودى : ما يبكيك ؟ قال : رب، هذا غلام بعثته بعدى، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى، قال : ثم انطلقنا، حتى انتهينا إلى السماء السابعة، فأتيت إبراهيم.

وقال فى الحديث : وحدث نبى الله ﷺ، أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت : ياجبريل، ماهذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. ثم رفع لى البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لا يعودون فيه، آخر ما عليهم. . ثم أتيت بإناءين، أحدهما خمر والآخر لبن، فعرضا على فاخترت اللبن، فقيل : أصبت، أصاب الله بك، أمتك على الفطرة، ثم فرضت على كل يوم خمسون صلاة. ثم ذكر قصتها إلى آخر الحديث.

وزاد فى رواية «فأتيت بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مراق البطن، فغسل بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيماناً».

٨- عن أبى العالية قال : حدثنى ابن عم نبيكم ﷺ - يعنى ابن عباس - قال : ذكر رسول ﷺ حين أسرى به، فقال : موسى آدم طوال،

كأنه من رجال شنوءة، وقال : عيسى جعد مربوع، وذكر مالكا خازن جهنم، وذكر الدجال.

٩- وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران عليه السلام، رجل آدم طوال جعد، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأى مالكا، خازن النار، والدجال فى آيات أراهن الله إياه، فلا تكن فى مرية من لقائه. فسرها الراوى أن النبى ﷺ قد لقى موسى عليه السلام.

١٠- وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادى الأزرق، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : هذا وادى الأزرق. قال : كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطا من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية.

ثم أتى على ثنية هرشى، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هرشى. قال : كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة، عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلبة، وهو يلبى.

١١- وعن ابن عباس قال : سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة، فمررنا بواد، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : وادى الأزرق. فقال : كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام، فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود - الراوى عن أبى العالية الراوى عن ابن عباس - واضعا

أصبعيه فى أذنيه، له جؤار إلى الله بالتلبية، مارا بهذا الوادى. قال: ثم سرنا، حتى أتينا على ثنية، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : هرشى، أو لفت، فقال : كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء، عليه جبة صوف، خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادى ملبيا.

١٢- عن مجاهد قال : كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال: إنه مكتوب بين عينيه «كافر»، قال : فقال ابن عباس : لم أسمعه قال ذاك؛ ولكنه قال : أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فرجل آدم جعد، على جمل أحمر مخطوم بخلبة، كأنى أنظر إليه إذ انحدر فى الوادى يلبى

١٣- وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : عُرِض عليَّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مزيم عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم - يعنى نفسه - ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية، - وفى رواية «دحية بن خليفة»-.

١٤- وعن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ، فإذا رجل - حسبته قال - مضطرب، رجل الرأس، كأنه من رجال شنوءة. قال ولقيت عيسى، فنعته النبى ﷺ، فإذا ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس -

يعنى حماما - قال : ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه، وأنا أشبه ولده به، قال فأُتيتُ بإناءين، فى أحدهما لبن وفى الآخر خمر، فقيل لى : خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن، فشربته، فقال : هديت الفطرة - أو أصبت الفطرة - أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

١٥- عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : أرانى ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلا آدم، كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال، له لمة، كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجلها، فهى تقطر ماء، متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين، بالبيت، فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح بن مريم، ثم إذا أنا برجل جعد، قطط أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح الدجال.

١٦- وعن عبد الله بن عمر قال : ذكر رسول الله ﷺ يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال؛ فقال : إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية.

قال : وقال رسول الله ﷺ : أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم، كأحسن ماترى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبى رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح بن مريم؛ ورأيت وراءه رجلا جعدا قططا أعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت من

الناس بابن قطن، واضعا يديه على منكبى رجلين، يطوف بالبيت، فقلت: من هذا ؟ قالوا : هذا المسيح الدجال.

١٧- عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر، فجلا الله لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.

١٨- عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا نائم رأيتنى أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم، سبط الشعر، بين رجلين، ينطف رأسه ماء، أو يهراق رأسه ماء - قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس؛ أعور العين، كأن عينه عنبة طافية، قلت : من هذا ؟ قالوا : الدجال، أقرب الناس به شبها ابن قطن.

١٩- عن أبى هريرة، قال: رسول الله ﷺ : لقد رأيتنى فى الحجر، وقريش تسألنى عن مسراى، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط. فرفعه الله لى. أنظر إليه ما يسألوننى عن شىء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلى، فإذا رجل ضرب جعد، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى

أشبه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد، هذا مالك، صاحب النار، فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأنى بالسلام.

٢٠- عن عبد الله قال : لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السادسة، إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها، قال : إذ يغشى السدرة ما يغشى، قال : فراش من ذهب، قال : فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا : أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا، إلا المقحمات.

★ ★ ★

تلكم هى الروايات العشرون كما وردت فى صحيح مسلم، يحدثنا الدكتور موسى شاهين لاشين عن فقهها فيقول :

« بعد قراءة روايات هذا الحديث يجد القارئ نفسه أمام تساؤلات كثيرة : هل كان الإسراء والمعراج يقظة أو مناماً ؟ ومن أين بدأ ؟ وما سر بيت المقدس نهاية له ؟ وبداية للمعراج ؟ وما الحكمة فى كون وسيلته ركوب البراق ؟ وما حقيقة شق الصدر ؟ ومتى كان ؟ وماذا رأى من آيات ربه الكبرى فى إسرائه وفى معراجه ؟ وما حقيقة ما رأى؟ وماوجه اختصاص من ذكر من الأنبياء؟ ولم كانت مراكزهم فى السموات كذلك ؟ وماذا نأخذ من الحديث من الأحكام والعبر ؟ ».

أورد فضيلة الدكتور موسى لاشين هذه التساؤلات، وهى تساؤلات لا يخلو ذهن مسلم من بعضها، وجاءت إجابة الشيخ موضحة لها وزائدة عليها بحسب ما يقتضيه المقام فى شرح الحديث. فقال - أطال الله عمره - :

★ ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة، فى اليقظة، بجسد النبى ﷺ وروحه، بعد المبعث.

قال الحافظ ابن حجر : وتواردت على ذلك ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغى العدول عن ذلك، إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل. ا هـ .

وذهب قليل من العلماء إلى أن الإسراء والمعراج كانا مناما، تشبثا بقوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنه للناس﴾ على أن المراد بها مارأى ليلة الإسراء، والرؤيا بالقصر ما يرى فى المنام، وتشبثا ببعض الروايات التى يدل ظاهرها على أنه كان فى المنام. وهذا القول مردود من وجوه.

الأول : أنه ثبت أن قريشا كذبوه فى الإسراء، واستبعدوا وقوعه، ولو كان مناما لما كذبوه، ولا استنكروه، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس.

الثانى : أن الله تعالى ذكر الإسراء بصيغة التنزيه له والتعجيب للحادث، والتشريف لنبيه، فقال : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ﴾ ولو كان مناما لم يستحق ذلك.

الثالث : أن الله تعالى أثبت رؤيا القلب بقوله ﴿ ماكذب الفؤاد ما رأى﴾ ورؤيا العين بقوله ﴿ مازاغ البصر وماطغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾، وأما قولهم أن الرؤيا بالقصر مختص برؤيا المنام، فيمكن رد هذا الاستدلال عليهم بأن هذا الاستعمال هنا فى رؤيا العين دليل على أن هذا اللفظ ليس خاصا بالمنام.

ويقول الدكتور لاشين: إنهم قد استندوا إلى ظاهر بعض الروايات، كرواية البخارى: «بينا أنا عند البيت مضطجعا بين النائم واليقظان. . إذ أتانى. . . » إلخ. . أو رواية: «بينا أنا نائم..» ويقرر فضيلته أن هذه الروايات محمولة على ابتداء الحال، ثم صار إلى اليقظة الكاملة ﷺ.

★ وذهب بعضهم إلى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح لا بالجسد. وقالوا : ينبغى أن يعلم الفرق بين قولهم : كان الإسراء مناما. وقولهم : كان الإسراء بروحه دون جسده. فإن بينهما فرقا، فإن الذى يراه النائم قد يكون حقيقة، بأن تصعد الروح مثلا إلى السماء، وقد

يكون من ضرب المثل بأن يرى النائم ذلك وروحه لم تصعد أصلا، فمعنى أسرى بروحه ولم يصعد بجسده، أن روحه عرج بها حقيقة، فصعدت ثم رجعت، وجسده باق فى مكانه خرقا للعادة. ا هـ.

قال الحافظ ابن حجر : وظاهر الأخبار الواردة فى الإسراء تأبى الحمل على ذلك. .

★ وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن ذلك كله وقع مرتين : مرة فى المنام توطئة وتمهيدا، ومرة ثانية فى اليقظة، جمعا بين ظواهر ماورد، وجوز بعض قائلى ذلك أن تكون قصة المنام وقعت قبل المبعث، لما جاء فى بعض الروايات من قول الراوى «وذلك قبل أن يوحى إليه».

وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان فى «البقظة، والمعراج كان فى المنام، أو أن الاختلاف فى كونه يقظة أو مناما خاص بالمعراج، لا بالإسراء، واستدلوا على ذلك بدليلين :

الأول: أن قريشا كذبوه فى الإسراء واستبعدوا وقوعه، ولم يتعرضوا للمعراج، ولو أنه أخبرهم بالمعراج يقظة لكان أولى بالتكذيب.

الثانى : أن الله تعالى ذكر الإسراء على وجه التنزيه والتعجيب والتشريف، ولو أن المعراج وقع فى اليقظة لكان أبلغ فى الذكر، فلما لم

يقع ذكره فى هذا الموضع، مع كون شأنه أعجب، وأمره أغرب من الإسراء بكثير دل على أنه كان مناما.

وأجيب عن **الأول** باحتمال أنه ﷺ لما بادءوه بالتكذيب فى الإسراء لم يسترسل معهم بذكر المعراج، أو أنه لو ذكره لهم، لكان لم يقع منهم فى شأنه اعتراض، لأن ذلك عندهم من جنس قوله : إن الملك يأتيه من السماء فى أسرع من طرفة عين. وكانوا يعتقدون استحالة ذلك، لكنهم لا يجدون طريقا واضحا لتكذيبه، بخلاف إخباره أنه جاء بيت المقدس فى ليلة واحدة، ورجع، فإنهم صرحوا بتكذيبه فيه، وطلبوا منه نعت بيت المقدس، لمعرفتهم به، وعلمهم بأنه ما كان رآه قبل ذلك، فأمكنهم استعلام صدقه فى ذلك، بخلاف المعراج.

وعن **الثانى** بأنه لما كان الإسراء هو مناط التكذيب كان الجدير بالذكر للرد عليهم، وإن كان المعراج أعجب. . والله أعلم.

* ولكن ماسر اختيار بيت المقدس غاية للإسراء، وبداية للمعراج ؟ يقول فضيلة الدكتور الشيخ موسى شاهين لاشين : إن علم ذلك عند الله تعالى، وما ذكره العلماء فى ذلك لا يمثل سرا أو حكمة، لكنه تلمس واجتهاد لا بأس به، نذكر منه ماقيل من أن باب السماء الذى يقال له: مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس، فحصل الإسراء إليه قبل العروج ليحصل العروج مستويا من غير تعويج.

ولكن الحافظ ابن حجر يقول : بل كان المناسب أن يصعد من مكة ليصل إلى البيت المعمور، والبيت المعمور حيال الكعبة، فلا يصح أن يكون السر عدم التعويج.

وقيل: الحكمة فى ذلك أن يجمع ﷺ فى تلك الليلة بين رؤية القبلتين، وقيل: لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه فى الجملة، ليجمع بين أشتات الفضائل، وقيل: لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له فى تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج منه أليق بذلك.

وقيل : للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسا ومعنى.

وقيل: ليجتمع بالأنبياء جملة.

وقيل: إرادة إظهار الله معاندة من يعارض، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه أسرى به إلى بيت المقدس، سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا قد رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليل، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ماذكره، فكان ذلك زيادة فى إيمان المؤمن، وزيادة فى شقاء الجاحد.

يقول الدكتور موسى : كل هذا يمكن أن يكون بعض الحكمة، وكلها تلمس كالورد يشم ولا يدعك. . والله أعلم.

★ ولكن أليس الله سبحانه وتعالى، قادرا على أن يطوى الأرض لنبيه ﷺ، فينتقل من مكة إلى بيت المقدس فى طرفة عين، دون الاستعانة بركوب البراق الذى جاء وصفه فى الحديث ؟

★ لقد كان ركوب البراق وصحبة جبريل عليه السلام نوعاً من المؤانسة للنبى ﷺ، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يحبه يبعث إليه بما يركبه. . لقد خص البراق بذلك إشارة إلى الاختصاص به لأنه لم ينقل أن أحدا ملكه، بخلاف غير جنسه من الدواب، وقد كانت القدرة صالحة أن يصل ﷺ إلى بيت المقدس من غير براق، لكن ركوب البراق كان زيادة فى تشريفه، لأنه لو وصل بنفسه لكان فى صورة ماش، والراكب أعز من الماشى.

هذا، وقد وردت روايات عن شق صدره ﷺ، فلم كان ذلك، ومتى كان ؟

إن الرواية الثانية لم تبين متى كان أما الرواية الثالثة فهى صريحة وواضحة فى أنه حصل وهو غلام صغير يلعب مع الغلمان فى بنى سعد.. وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة، والرواية الخامسة تفيد أنه حصل ليلة المعراج، والرواية السابعة تفيد أنه حصل ليلة الإسراء،

ولا منافاة بين الرواية الخامسة والرواية السابعة، غاية الأمر أن فى سياق الخامسة حذفا، وأصلها. . «فأفرغها فى صدرى. . ثم أطبقه. . ثم أتيت بدابة بيضاء. . حتى وصلنا إلى بيت المقدس. . ثم أخذ بيدى، بناء على أنهما كانا فى ليلة واحدة.

وقد أراد الحافظ ابن حجر أن يجمع بين الروايات السابقة فقال: وقع الشق ثلاث مرات، ولكل منها حكمة، فالأول وقع فى زمن الطفولة، فأخرج من الصدر علقة، وقال : هذا حظ الشيطان منك، فنشأ ﷺ، على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع الشق عند البعث زيادة فى إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوى، فى أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل الأخير أن تقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر فى شرعه ﷺ.

ثم قال الحافظ ابن حجر : وجميع ما ورد من شق الصدر، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم به، دون التعرض لصرفه عن حقيقته، لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شىء من ذلك. ثم نقل عن القرطبى قوله فى المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء، لأن رواته ثقات مشاهير. . ا هـ .

ويؤيد أن الشق على الحقيقة قول أنس فى الرواية الثالثة : «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره» ﷺ.

ونعود إلى قوله تعالى «لنريه من آياتنا» فماذا رأى ﷺ من آيات ربه الكبرى فى رحلته من مكة إلى بيت المقدس ومن بيت المقدس إلى السموات العلا.

إن العلماء لم يتركوا هذا السؤال بلا إجابة فقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة نذكر منها :

ماروه الطبرانى والبزار عن أبى هريرة أنه ﷺ « مر بقوم يزرعون ويحصدون، كلما حصدوا عاد كما كان، قال جبريل : هؤلاء هم المجاهدون، ومر بقوم ترضخ رءوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت. قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة، ومر بقوم على عوراتهم رقاع يسرحون كالأغنام. قال : هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة، ومر بقوم يأكلون لحما نيئا خبيثا، ويدعون لحما نضيجا طيبا. قال : هؤلاء الزناة، ومر برجل جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها، ثم هو يضم إليها غيرها، قال : هذا الذى عنده الأمانة لا يؤديها وهو يطلب أخرى. ومر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم، كلما قرضت عادت، قال : هؤلاء خطباء الفتنة. ومر بثور عظيم يخرج من ثقب صغير، ثم يريد أن يرجع فلا يستطيع، قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة، فيندم، فيريد أن يردها فلا يستطيع ».

★ أما البيهقى فيقول فى الدلائل رواية عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ: «مر بشىء يدعوه، منتحيا عن الطريق، فقال له جبريل :

سر، وأنه مر على عجوز، فقال : ما هذه ؟ فقال : سر، وفى آخره : «فقال : الذى دعاك إبليس، والعجوز الدنيا».

★ وعند الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة : « ثم مر بقوم بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خر، وأن جبريل قال له: هم آكلو الربا. وأنه مر بقوم مشافرهم كالإبل، يلتقمون حجرا، فيخرج من أسفلهم، وأن جبريل قال له : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ».

يقول الشيخ موسى لاشين : وعندى، أن هذه الأحاديث - إن صحت - هى تصوير للترغيب أو للترهيب، وربما كانت صورة لما سيحدث فى الآخرة من هيئة الأجر أو العقاب، وليست أمورا واقعية، وعدها من قبيل آياته الكبرى لا يخلو من تسامح . .

أما الآيات الحقيقية فيمكن أن يكون منها :

١- شق صدره ﷺ، وقد سبق الحديث عنه.

٢- والبراق، وسرعته.

٣- والمعراج واختراقه.

٤ - ورؤيته البيت المعمور.

٥ - ولقاؤه مالكا خازن النار.

٦ - ومن الآيات الكبرى رؤيته ﷺ سدرة المنتهى، والرواية الأولى تشبه ورقها بآذان الفيلة، وثمرها بالقلال. وتبهم وتفخم ما يغشاها من أمر الله، حتى أن أحدا من خلق الله لا يستطيع أن ينعتها لحسنها، والرواية العشرون تفسر مبهم الرواية الأولى بأنه يغشاها فراش من ذهب.

٧- ومن الآيات الكبرى رؤيته ﷺ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفيها - غير ماورد فى الروايات التى ذكرناها - ما جاء عند البيهقى فى حديث أبى سعيد « فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس، فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد فصلى كل واحد منا ركعتين، ثم أقيمت الصلاة فأممتهم».

وعند أبى حاتم «فلم ألبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير، ثم أذن مؤذن، فأقيمت الصلاة، فقمنا صفوفا، ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدى جبريل، فقدمنى، فصليت بهم».

ومما هو غنى عن البيان أن الهدف من هذا اللقاء وهذا الاستقبال هو الترحيب والتكريم والتشريف.

ولكن. . لماذا كان موسى عليه السلام هو الذى ينصح النبى ﷺ بمراجعة ربه فى شأن الصلاة ؟

أراد بعض العلماء تبرير ذلك، رغم أن من المحدثين من ينكر هذا ويعتبره من الإسرائيليات التى تزعم الوصاية من موسى عليه السلام، فيتقدم بالنصيحة إلى محمد ﷺ لطلب التخفيف عن أمته.

* يقول القرطبى : الحكمة فى تخصيص موسى بمراجعة النبى ﷺ فى أمر الصلاة، لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلاة ما لم يكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك. . ويشير إلى ذلك قوله : «إنى جربت الناس قبلك».

* وقال بعضهم : يحتمل أن موسى لما غلب عليه الأسف فى الابتداء على نقص حظ أمته بالنسبة لأمة محمد ﷺ، حتى تمنى ما تمنى، يحتمل أن يكون قد استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم، والشفقة عليهم، ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه فى الابتداء.

وهذا كلام جيد، وبضمه إلى ماقاله القرطبى يتم المقصود.

* * *

مع الحافظ ابن كثير

انتهت روايات ابن هشام فى سيرته والبخارى فى صحيحه، ومسلم فى صحيحه، وملخص لتعليقات على ما ورد فى تلك الروايات، وبقى ما يقوله المفسرون، ونختار منه تعليقا للإمام الجليل عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى، فلقد أورد فى تفسيره ما يزيد على خمس عشرة رواية، لا تخرج عما ذكرناه، وفى إيرادها هنا زيادة تكرار قد يمله القارئ - لذلك نكتفى بإيراد تعليق له أخير على الروايات التى ذكرها.. إذ يقول :

وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث، صحيحها، وحسنها، وضعيفها، يحصل ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ، من مكة إلى بيت المقدس، وأن الإسراء كان مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة فى أدائه، أو زاد بعضهم فيه، ونقص منه، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى- مرة على حدة، فأثبت إسراءات متعددة، فقد أبعد

وأغرب، وهرب إلى غير مهرب، ولم يتحصل على مطلب، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه الصلاة والسلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرة من مكة إلى السماء، وفرح القائلون بهذا المسلك، وظنوا أنهم قد ظفروا بشىء يخلصون به من الإشكالات المتعددة، وهذا بعيد جداً، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبى ﷺ به أمته.. ولنقله الناس على التعدد والتكرار.

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وكذا قال عروة، وقال السدى بستة عشر شهرا، والحق أنه عليه الصلاة والسلام أسرى به يقظة لا مناما، من مكة إلى بيت المقدس، راكبا البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب، ودخله فصلى فى قبلته تحيةالمسجد ركعتين، ثم أتى بالمعراج، وهو كالسلم، ذو درج يرقى فيها، فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم بقية السموات السبع، فتلقاه من كل سماء مقربوها، وسلم على الأنبياء الذين فى السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم فى السادسة، وإبراهيم فى السابعة، ثم جاوز منزلتيهما ﷺ وعليهما، وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، أى أقلام القدر بما هو كائن، ورأى سدرة المنتهى، وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة، فراش من ذهب، وألوان متعددة، وغشيتها الملائكة، ورأى هناك

جبريل على صورته، وله ستمائة جناح، ورأى رفرفا أخضر قد سد الأفق، ورأى البيت المعمور، وإبراهيم الخليل بانى الكعبة الأرضية، مسندا ظهره إليه، لأنه الكعبة السماوية، يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة، يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.. ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات الخمسين، ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفا بعباده، وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها، ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم فى السماء، والذى تظاهرت به الروايات أنه صلى بهم فى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه، لأنه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحدا واحدا، وهو يخبره بهم .

★ يستنتج الإمام ابن كثير أنه لو كان النبى ﷺ صلى بالأنبياء فى بيت المقدس قبل الصعود إلى السماء لما كان فى حاجة إلى أن يسأل عنهم جبريل بعد ذلك، لأنه يكون قد عرفهم عند استقبالهم له، وسؤاله عنهم دليل على أنه لم يعرفهم، وأنهم لم يستقبلوه فى بيت المقدس، ولم يصل بهم أول وصوله إليه.. وإنما صلى بهم- إذا صحت رواية صلاته بهم- بعد نزوله إلى بيت المقدس عندما انتهت رحلة المعراج..

وكأن صلاته بهم كانت حفلة توديع لا استقبال، كما تظاهرت الروايات عليه.. يقول ابن كثير: وهذا اللائق لأنه كان أولا مطلوبا إلى الجناب العلوى ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى، ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتمع هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه فى الإمامة، وذلك عند إشارة جبريل عليه السلام فى ذلك.

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق، وعاد إلى مكة بغلس، والله سبحانه وتعالى أعلم

وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل، أو اللبن والماء، أو اللبن والخمر، أو الجميع، فقد ورد أنه فى بيت المقدس، وجاء أنه فى السماء، ويحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا، لأنه كالضيافة للقادم.. والله أعلم .

ويستطرد الإمام ابن كثير قائلا :

ثم اختلفت الناس، هل كان الإسراء ببدنه عليه الصلاة والسلام وروحه، أو روحه فقط؟ على قولين، فالأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناماً، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناما، ثم رآه بعد ذلك يقظة، لأنه عليه الصلاة والسلام، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.. والدليل على هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا، إنه هو السميع

البصير﴾ . فالتسبيح هنا إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء، ولم يكن مستعظما، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتدت جماعة ممن كان أسلم، وأيضا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال الله تعالى: ﴿أسرى بعبده ليلا﴾ . وقال تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾. قال ابن عباس رضى الله عنهما : هى رؤيا عين، أرى بها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به، والشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم، رواه البخارى.

وقال آخرون : بل أسرى برسول الله صلى الله عله وسلم بروحه لا بجسده، قال محمد بن إسحاق بن يسار فى السيرة: حدثنى يعقوب بن عقبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ ، قال: كانت رؤيا من الله صادقة. وحدثنى بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن أسرى بروحه. قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولها، لقول الحسن أن هذه الآية نزلت ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾ ولقول الله تعالى فى الخبر عن إبراهيم: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [1] قال: ثم مضى على ذلك ، فعرفت

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

يقول: «تنام عيناى وقلبى يقظان». والله أعلم أن ذلك كان قد جاءه وعاين من الله فيه ما عاين على أى حالاته كان، نائما أو يقظان. كل ذلك حق، وصدق.. انتهى كلام ابن إسحاق.

يقول ابن هشام: وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير فى تفسيره بالرد والإنكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر القرآن، وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم.. والله أعلم.

★ ★ ★

فرضية الصلاة

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الصلاة قد فرضت على المسلمين ليلة الإسراء والمعراج خمسين صلاة فى اليوم والليلة، وطلب النبى ﷺ التخفيف، فاستقرت خمسا فى الأداء، وخمسين فى الأجر والجزاء، ولكن الثابت أيضا أن رسول الله صلى الله عله وسلم كان يصلى فى مكة قبل الإسراء، فكيف وفق العلماء بين الصلاة قبل الإسراء، وحديث فرضيتها ليلة الإسراء، فى حالة العروج إلى السموات العلا:

فى كتاب «خاتم النبيين» للشيخ محمد أبو زهرة حديث عن ذلك يقول فيه:

عندما نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾[1].كان التكليف لتبليغ الرسالة والدعوة إلى أمر الله ودينه،

(١).سورة المدثر: الأيات ١ - ٧.

ولا دين بغير صلاة، لأنه لابد لكل دين من عبادة، ولا عبادة من غير صلاة، فهى عمود الدين، وركنه الركين.

ولذلك اقترن التبليغ بفرضية الصلاة اقترانا زمنيا، لأن الصلاة مقترنة بكل دين اقترانا عمليا.

ولقد قال الرواة أن الصلاة فرضت ركعتين بمجرد البعثة المحمدية، وكانت تصلى مرتين: أولاهما فى الصباح، والثانية فى المساء، وفرضت ركعتين فى كل منهما. ولقد قال فى ذلك المزنى من أصحاب الشافعى رضى الله عنه، إن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء، كانت صلاة قبل غروب الشمس، وصلاة قبل طلوعها، ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[1].

ولقد قالت عائشة - رضى الله تعالى عنها - فيما رواه بن أختها عروة بن الزبير: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم أيد الله تعالى أنها فى الحضر أربعا، وأقرها على فرضها فى السفر ركعتين، وبهذا يتبين بأن الصلاة كانت مفروضة من أول الإسلام. وظاهر المروى أنها فرضت ركعتين، وفى وقتين اثنين هما فى العشى والإبكار. قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

---

(١) سورة غافر: الآية ٥٥.

هذا هو المفروض على الكافة ممن يسلمون، أما التطوع، فبابه مفتوح، والنبى مأمور بكثرة الصلاة، وقد قال الله تعالى مشيرا إلى طلب الصلاة الكثيرة من النبى ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾[1].

وذكر الرواة أن جبريل روح القدس هو الذى علم النبى ﷺ الوضوء، فقد ذكروا أن جبريل عليه السلام نزل عليه وهو بأعلى مكة المكرمة فهمز بعقبه فى ناحية الوادى فنبع الماء، فتوضأ جبريل، وعلم النبى ﷺ بذلك الوضوء قبل الصلاة.

وقد روى كتاب السيرة ذلك الخبر بسند غير متصل، ولكن روى متصلاً عن زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه.

وبهذا يتبين بأن الوضوء فرض لكل صلاة، وكانت فرضيته وهو ﷺ فى مكة المكرمة، وقد استمر من بعد ذلك، وكان والصلاة ركعتان مرتين، واستمر وقد صارت أربعا فى الظهر والعصر والعشاء،

---

(١) سورة المزمل: الآيات ١ - ٦.

شبهة والإجابة عنها

فى ذكر الإسراء والمعراج، وما يروى أن النبى ﷺ كان ينزل ويصعد بين ربه وبين موسى عليه السلام ليسأل ربه التخفيف فى الصلاة، تولد عن هذه الفكرة، بل عن مسألة المعراج كلها شبهة مؤداها هذا السؤال:

* هل يختص ربنا سبحانه وتعالى بجهة، أو يتحيز فى مكان، بحيث يتسنى لعبده أن يخاطبه ويسمع منه بتلك الكيفية التى قد يتصورها العقل، من الكلام المتبادل بين الله سبحانه وتعالى، وعبده محمد ﷺ؟

لقد خشى علماؤنا أن تخطر هذه الشبهة على بال مسلم، أو ترد على خاطره، أو لعلها وردت فعلا فسأل عنها قراء مجلة «الإسلام» فنشرت مقالا لفضيلة الشيخ يوسف الدجوى، فى العدد ٢٩ السنة الخامسة، فى شهر رجب سنة ١٣٥٥هـ.. قال فيه رحمه الله:

وثلاثا فى المغرب، وركعتين فى الصبح، وذلك غير السنن على ما هو فى فقه العبادات.

وقد أشار القرآن الكريم إلى مواقيت الصلوات الخمس، فقد قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾[1]. وقد قالوا بأن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، وهذا لا يمنع أن يكون لكلمة الوسطى معنى آخر هو المثلى .

وقد قال تعالى مشيرا إلى أوقات الصلوات كلها : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾[2] . فقد أتى بصلاة الصبح مشيرا بقوله «تصبحون» وبصلاة العصر مشيرا بقوله«تمسون» وبصلاة المغرب والعشاء مشيرا بقوله تعالى «وعشيا» فهما العشاءان، حتى قال بعض الفقهاء إن وقت المغرب والعشاء واحد يصلى أسبقهما أولا، وثانيهما آخرا، وأتى بصلاة الظهر بعبارة تكاد تكون صريحة، وهى قوله تعالى : «وحين تظهرون».

* * *

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٢) سورة الروم: الآيات ١٧، ١٨.

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الجهات، وعن صفات المخلوقات، وقد أولع بعض الناس الآن بذكر الآيات المتشابهات للعامة التى لا ينبغى أن يتكلم بها إلا فى مجالس الخاصة من العلماء عند الاقتضاء.

ومن ذلك ما ورد فى الإسراء والمعراج، فرأينا أن نكتب كلمة فى ذلك راجين من أولئك المتفيهقين أن يتقوا الله، ولا يذكروا للعامة إلا ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم، فإنهم لا يعرفون من الأشياء إلا ظواهرها، فنقول وبالله التوفيق:

يدل على التنزيه فى قصة الإسراء والمعراج، وأنه ما كان لقطع المسافات فيما بينه ﷺ وبين الله سبحانه وتعالى، أو لكونه جل شأنه على عرشه كما فى عبارات كثيرة لابن تيمية وابن القيم، وأتباعهما، دلائل كثيرة نقلية وعقلية، لمن تبصر، فضلا عن البرهان العقلى الذى يوجب له التنزيه ونفى التشبيه.

فمن ذلك افتتاح السورة بقوله عز وجل، ﴿سبحان الذى أسرى﴾ المقتضى للتنزيه تنبيها على عدم تحيزه، ونفى اختصاصه بجهة.

الثاني: قوله جلت قدرته ﴿أسرى بعبده﴾ فأتى بالباء المفيدة للمصاحبة، تنبيها على مصاحبته له- تعالى- فى حالة إسرائه، وأنه ليس نائيا ولا بعيدا عنه فيحتاج قربه إلى قطع مسافات مكانية. وقد قال، ﷺ «اللهم أنت الصاحب فى السفر»

الثالث: قوله ﴿بعبده﴾ تنبيها على أنه على حسب التحقق بخضوع العبودية يكون الترقى إلى حضرة الربوبية، لا بقطع المسافات، أو كثرة الحركات

الرابع: قوله ﴿ليلا﴾ وكان لفظ الإسراء مفيدا لذلك، ولكنه ذكره تنبيها على أن كل ما تضمنه الإسراء كان خارجا عن العادة فى مثله، فإنه جعل العلة فيه أن يريه من آياته، والإراءة العادية سلطانها النهار، فقال: ﴿ليلا﴾ ليعلم أن الرؤية المقصودة ليست عادية، بل هى رؤية أريها بنور ربانى سلطان موسمه الليل دون النهار.

الخامس: قوله ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ تنبيه على أن الإسراء لو كان لضرورة رؤية ربه لكونه مخصوصا بجهة العلو لم تكن هناك حاجة إلى الذهاب إلى المسجد الأقصى، ولأمكن الترقى من مكة إلى السماء مباشرة، فدل على أن الإسراء والترقى من مكان إلى مكان لحكمة وراء ما زعم مثبت الجهة من المشبهة وأذيال المشبهة.

وفى ذلك إشارة إلى أن العبد لا يصل إلى الله تعالى إلا فرداً، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[1].ولا تتحقق له الفردية إلا بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها. فهناك يصل إلى حضرته تعالى، وصولا لا يشبه وصول الأجسام، وقد جاء الكتاب العزيز بالتنبيه

(١) سورة مريم: الآية ٩٥.

على حضرة عنديته وراء دوائر السموات والأرض حيث قال تعالى ﴿ ومن عنده ﴾ فعطف ﴿ من عنده ﴾ على من فى السموات والأرض، والعطف يقتضى المغايرة

وقد قال ﷺ «والذى نفسى بيده، لو دلى أحدكم بحبل فى بئر لوقع على الله» فنبه ﷺ على عدم تحيزه فى السماء، وأنه سبحانه وتعالى ليس مختصا بجهة.

هذا وإن أردت التبصر فى أن الإسراء، وعروج الملائكة ورفع عيسى وإدريس صلى الله عليهم وسلم، إلى السماء، لا يدل على أن الله تعالى مخصوص بجهة السماء، فاعتبر فرض الحج على العباد إلى البيت الحرام، وأمر الله تعالى إلينا بالتوجه إليه من جميع الجهات، وجعل سكانه جيران الله تعالى، وحجاجه وفده وضيفانه، والحجر الأسود يمينه، فماذا تفهم من كون الكعبة بيت الله ، وكون الحجر الأسود يمينه.. إلخ..؟

أظنك لا تعدو به التمثيل، وبيان أن الاعتناء بزائريه الذين جعلهم ضيوفه، وطلب منهم تقبيل الحجر ليكون بمنزلة تقبيل يمين الملك، إلى آخر مالا تسعه هذه العجالة، ثم انظر إلى مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [1] وقد قال ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٤.

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[1]. ولكن إذا كان المقصود بالسياق تحذيرا لأهل الأرض، وتفخيم الأمر جاء التعبير بمن فى السماء، فإن مظاهره السماوية هى المشاهدة بالبصر، وهى أعظم فى النفوس من مظاهر الأرض.

وأما تنزيل التدبير وعروجه المشار إليه بمثل قوله تعالى ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[2] فتكون السماء محل التصريف والفعل، والأرض محل القابلية والانفعال، فهو كما قال بعض العارفين: «عروج روحاني، وسر رحماني، وكشف عرفاني» أسأل الله أن يلهمنا الرشد فى كل شىء، وأن يعرفنا أسرار كتابه، ولطائف خطابه. آمين.

★ ★ ★

(١) سورة النحل: الآية ٥١.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.

الإسراء .. متى؟ ولماذا؟

ونعود إلى السؤال : متى كان الإسراء.. ولماذاكان؟ فلقد اختلف العلماء - كما ذكرنا - فى زمانهما ومكانهما، كما اختلفوا فى كيفيتهما: بالجسد والروح، أم بالروح فقط؟ وزيادة فى تفهم هذه المسألة نورد رأى الإمام الشيخ محمد أبو زهرة ملخصا من كتابه «خاتم النبيين» الذى جاء فيه:

كان الإسراء فى السنة التى كانت قبل الهجرة، وروى البيهقى عن ابن شهاب الزهرى أنه كان فى السنة التى قبل الهجرة، وروى الحاكم أن الإسراء كان قبل الهجرة بستة عشر شهراً.

واختلف على ذلك فى الشهر الذى أسرى به فيه، فالسدى قال أنه كان فى ذى القعدة، والزهرى قال: بل كان فى ربيع الأول.

وروى عن جابر وابن عباس أنهما قالا: ولد رسول الله ﷺ ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات.

وفى رواية أن الإسراء كان فى ليلة السابعة والعشرين من شهر رجب، ويقول ابن كثير: وقد اختاره الحافظ ابن سرور المقدسى. وقد أورد حديثا لا يصح سنده، كما ذكرنا ، فى فضائل شهر رجب، وأن الإسراء كان فى ليلة السابعة والعشرين من شهر رجب .. والله أعلم.

ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان فى أول ليلة جمعة من شهر رجب، وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة، ولا أصل لذلك، والله أعلم ..

وقد جاء فى نهاية الأرب أن الإسراء كان فى ليلة السبت، ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا، وقد أسرى به ﷺ وسنه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر.

وبعد ذكر هذه الاختلافات، يعلق الشيخ أبو زهرة .. فيقول :

وننتهى من هذا بأن علماء السيرة النبوية مختلفون فى تعيين اليوم الذى كان فيه الإسراء، ولكن الواقعة ثابتة. وقد اتفقوا على أنها كانت بعد ذهاب النبى ﷺ إلى الطائف، وردهم له الرد المنكر، وأن كونها فى ليلة السابع والعشرين من رجب ثبتت بخبر لم يصح سنده فى نظر الحافظ المحدث ابن كثير .. وقد قال من بعد ذكره : والله سبحانه وتعالى أعلم ..

وقد رأينا الناس قبلوا ذلك التاريخ، أو تلقوه بالقبول، وما يتلقاه الناس بالقبول ليس لنا أن نرده، بل نقبله، ولكن من غير قطع، ومن غير جزم ويقين.

واتفقت الروايات أيضا على أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة على الأقل، ويظهر أنها كانت فى السنة التى قبل الهجرة فى ثلثها الأول، أو الأخير .. والله سبحانه وتعالى أعلم ..

وهنا قد يسأل سائل : ما المناسبة لمسألة الإسراء والمعراج، وتعيين الله تعالى لزمانها، والله سبحانه وتعالى حكيم عليم، يضع الأمور بموازينها، وفى أوقاتها، وأجلها المعلوم؟

ولنا أن نتعرف حكمة الله تعالى من غير أن نقطع بأن هذا هو مراده جل شأنه، فهو العليم الخبير، الذى لا تخفى عليه صغيرة ولا كبيرة فى الأرض ولا فى السماء.

ونجيب عن هذا التساؤل بأن الله سبحانه وتعالى استجاب لنبيه صلى الله عله وسلم فى ضراعته بالدعاء الذى دعا به ربه عقب خروجه من الطائف. شكا ضعف قوته فأمده الله تعالى بالقوة، وقلة الحيلة فأمده بحسن التدبير لدخول مكة المكرمة آمنا مطمئنا.

لقد أحس النبى ﷺ بالوحشة بعد وفاة الحبيبين، خديجة العطوف، وأبى طالب الشفيق، فقال الله تعالى له بالفعل : إن أنس الله

أكبر، ورحمته أعظم، وحياطته أكرم، وإن عنايته بك وبرسالتك هى التى ستبلغك أمرك، وتصل بك إلى غايتك .. وهو المهيمن الرءوف الرحيم، لذلك كان الإسراء، ومن بعده عروجه إلى السماء.

ثم يورد الشيخ الإمام أبو زهرة الروايات التى جاءت فى مسألة الإسراء والمعراج، ويعلق عليها قائلا: وهذا كله يدل على أن الإسراء كان بالروح والجسد، فإنه تلاقى مع المارين بين مكة المكرمة والشام، وأخبر عن هذا التلاقى، وصدق خبره عليه الصلاة والسلام، وإذا كانت بعض هذه الروايات فى إسنادها كلام فإن بعضها يقوى الآخر، ونص القرآن الكريم ظاهر فى تأييد الدعوى، بل لا يدل على غيرها حتى يقوم الدليل.

ولو كان الإسراء بالروح أو الرؤيا الصادقة ما كانت هناك غرابة تمنع التصديق، ولبادر النبى ﷺ بإخبارهم أن ذلك رؤيا منام، أو وحى أوحى إليه به.. ولكنه ﷺ لم يخبر بذلك، بل أكد على الإسراء به متيقظا، راكبا البراق، مشاهدا لآيات الله، مقابلا للقوافل فى الصحراء سواء فى ذهابه أو إيابه، تاركا مع تلك القوافل أمارات، إذ يشرب من إناء إحداها، فيصبحون لا يجدون الماء فى الإناء، وينادى على أحدهم فيسترد البعير الشارد فيسمعون صوته، ولا يرون جسمه - ربما لسرعة سير البراق، أو للظلام الشديد إذ كان الإسراء فى ليلة السابع

حادث تربوى توجيهى

فى كتابه «توجيهات إسلامية» يحدثنا الشيخ الإمام الأكبر محمود شلتوت عن الإسراء والمعراج، وكالعادة يبدأ الحديث فى هذه المناسبة بذكر تلك الآية الكريمة من أول سورة الإسراء :

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[1]

ثم يقول - رحمه الله - :

يستقبل المسلمون ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وقد شاع بينهم بعد العهود العملية الأولى، أنها «الليلة» التى أسرى فيها بالنبى ﷺ من المسجد الحرام بمكة، إلى المسجد الأقصى بالشام، ثم عرج به إلى السموات السبع واحدة فواحدة، إلى الملأ الأعلى، إلى سدرة

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

والعشرين من شهر رجب وهى ليلة يكون القمر فيها محاقا ولا يظهر ضوءه إلا لحظات عند الصباح .. كل هذا يؤكد لمن كان له عقل وقلب أن الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح ولا ينبغى فيه الجدال والمراء، لأنه لا يخرج عن حيز الإيمان بما هو ممكن فى حق الله تعالى شرعا وعقلا من قدرته على فعل كل ما هو ممكن .. وهذا الحدث، وإن كان خارقا للعادة، لكنه لكم يكن للتحدى، ولم يره المعارضون، ولم يطلب منهم أن يأتوا بمثله، فهو ليس داخلا- كما قلنا أولا- فى نطاق المعجزات، بل هو تكريم وتشريف وتعظيم لمقام النبى ﷺ.

★ ★ ★

المنتهى، إلى حيث سمع صريف الأقلام، ورأى سدرة المنتهى والبيت المعمور، وتلقى عن ربه افتراض خمسين صلاة على أمته، ثم سأل ربه التخفيف بمشورة موسى عليه السلام، فخفضها إلى خمس، وكانت خمسا فى العمل وخمسين فى الأجر والثواب، ثم رجع من ليلته بعد أن رأى ما رأى من آيات ربه الكبرى .

ومن هنا اعتقد العامة وأشباههم أن لهذه الليلة فضلا تمتاز به عن سائر ليالى شهر رجب، بل عن سائر ليالى السنة كلها، حتى ليلة القدر، وبذلك اتخذوها موسما شرعيا، يقيمون به حفلا دينيا بالعبادة والذكر والدعاء، وبما ألفوا فيما اخترعوا من أعياد ومواسم وموالد، ويطيب لهم فى هذا الحفل أن يستمعوا كل ما ورد من الغرائب التى نسبت إلى هذا الحادث التربوى التوجيهى العظيم .

والإسلام لا يعرف لشهر رجب سوى أنه أحد الأشهر الأربعة التى قرر الله حرمتها فى شرعه القديم، واستمرت كذلك فى الإسلام، وفيها نزل قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[1].

(١) سورة التوبة: الآية ٣٦.

أما الإسراء وليلته، فإنه بالرجوع إلى المصادر التى تحدثت عنه- وما أكثرها- لا نجد شيئا مما قيل فيه أو نسب إليه اتفقت عليه الكلمة والنقل سوى أصل «الإسراء والمعراج»، وفيما عدا هذا من نواحى الحادث وأنبائه اختلفت فيه الروايات والآراء اختلافا كثيرا اتسع نطاقه حتى بدا فى كثير من غرائبه بثوب الاختراع والتخيل.

اختلفت الروايات فى عدد مراته، واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أكثر من ذلك ..

واختلفت فى وقته: سنته، وشهره، وأسبوعه وليلته ..

واختلفت فى وصف البراق، راحلة الإسراء، وفى وصف المعراج مرقاة الصعود إلى السماء، واختلفت فى مكان اجتماع الرسول بالأنبياء السابقين: فى السماء أم فى الأرض بعد العروج أم قبله؟

اختلفت فى كل هذا، وفى غيره مما يتصل بالحادث عن قرب أو بعد .. وأخيرا اختلفت فيه الآراء من جهة الجسمية والروحية .. هل كان الإسراء والمعراج بالجسم والروح معا، أم كانا بالروح فقط، أم كان الإسراء بالجسم والمعراج بالروح .. ؟

وقد اتسع ميدان الرأى فى الإسراء والمعراج، إلى أن أدخلت فيه قهراً الآيات الأولـى من سورة النجم التى نزلت لتؤكد أن القرآن وحى من عند الله، وليس- كما يثيره القوم حوله- من صنع محمد، افتراه

وأعانه عليه قوم آخرون . كلا ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾[1] .

وقد وصل الاختلاف فيما يتصل بهذا الحادث إلى التفاضل بين ليلته وليلة القدر .. وليلة القدر التى أنزل فيها القرآن، وقد أتى أحد الناس إلى ابن تيمية يسأله عن رجلين يفضل أحدهما ليلة الإسراء، ويفضل الآخر ليلة القدر، أيهما المصيب؟

وينكر الشيخ العظيم كل الإنكار على من يزعم أن ليلة الإسراء، من جهة ذكراها ومن جهة إحيائها بالعبادة والدعاء أفضل من ليلة القدر.. ويقول: «إنه معلوم الفساد باطراد من دين الإسلام ، هذا إذا كانت ليلة الإسراء تعرف بعينها، بل النقول فى ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به ... ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، ولا يذكرونها، ولهذا لا تعرف أى ليلة كانت، بل هناك أيام وأماكن أخرى، ربما كانت جديرة بالتفضيل ولم يصلنا خبر يخصص شيئا منها بذلك، مثل غار حراء الذى ابتدئ فيه نزول الوحى،

(١) سورة النجم: الآيات ٢ - ١٠ .

ومثل أول يوم أنزل فيه الوحى، فهما لم يخص واحد منهما بعبادة ولا غيرها، ولم يقصدهما النبى ﷺ، ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه فى مكة».

والسؤال الذى يفرض علينا نفسه بعد ذلك .. هو : هل لهذا الخلاف نتيجة مؤثرة فى صدق الإخبار بهذا الحادث ..

ينبه الإمام الأكبر، الشيخ محمود شلتوت بأن هذه الخلافات الواردة لا ينبغى أن يكون لها أثر ذو بال فى أصل الحادث نفسه، فهى خلافات فى فرعيات بعيدة عن أصل الحادث ذاته .. لماذا؟ لأن ذلك ناشئ من عدم عناية الصحابة بحفظ تواريخ الأحداث، فقد كانت الأمية شائعة بينهم، وهم مع هذه الأمية كانوا يقدرون الأحداث وينظرون إليها باعتبار ذاتها، وباعتبار نتائجها فقط .. دون ربط لها بزمان أو مكان .. وإن الزمان والمكان لم يكونا فى الواقع سوى ظرف ضرورى للوقوع والحدوث، وإذن فلا ينبغى التعلق به وقصده بالإحياء والتفضيل إلا بقدر ما يرد فيه من الله سبحانه وتعالى.. ومن ذلك ما خص يوم الجمعة ويوم العيدين، ويوم عرفة، ومن هنا لا يكون للمسلمين حق اختراع أعياد، وإقامة أعياد دينية فى أى مكان لما نقل من أحداث الرسول ﷺ، فضلا عما هيأته ظروف الضعف من أزمنة وأمكنة، مثل موالد الأولياء التى نعمل اليوم بجهود جبارة على إقامتها وتنظيمها،

ودعوةالناس إليها، والتسابق فيها، وهى مبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان . .

وإذا كان لنا أن نذكر حادث الإسراء، فإنما نذكره أولا فى حدود اليقين والاطمئنان لا فى متسع الظنون والاضطراب، وأن نذكره ثانيا بقلوبنا، وفى أوقاتنا كلها بما يرشد إليه من إيحاء ننتفع به فى حياتنا على توالى السنين والأجيال ... وإن حادث الإسراء بعد أنه تثبيت وتكريم للنبى ﷺ، وإعداد لقواه النفسية والعقلية والجسمية لتحمل أعباء الرسالة العامة، وعلى خذلان أعدائه، وعلو كلمته، هو بعد ذلك كله يوحى للمسلمين بمكان بدئه وهو المسجد الحرام، ومكان نهايته وهو المسجد الأقصى، يوحى بمهابط الوحى الأول الذى تلقاه إبراهيم وإسماعيل، ومهابط الوحى الثاني الذى تلقاه موسى وعيسى، وأنها كلها مهابط الرسالة الإلهية التى جاء محمد لتكميلها والهيمنة عليها. وأن تلك الرسالات، وإن اختلفت أزمنتها، وتعددت رسلها، واحدة فى دعوتها وغايتها، وأن الرسل جميعا الذين اصطفاهم الله لتبليغها بناة بيت واحد، يضع آخر لبنة فيه خاتمهم محمد بن عبد الله، صاحب الإسراء والمعراج، وإذن فلابد أن يخفق على هذه الأماكن جميعها علم التوحيد والإيمان، على النحو الذى جاء فى رسالته، ولابد أن تطهر رقعتها من بذور الشرك والوثنية والظلم والفساد، وأن يعلو فيها سلطان الحق، وعدالة السماء.

وإذا كان المبدأ- وهو المسجد الحرام- يجب على المسلمين تطهيره وتطهير إقليمه مما تأباه الرسالة الإلهية، فإن منتهاه وهوالمسجد الأقصى وإقليمه يجب كذلك تطهيرهما مما تأباه الرسالة السماوية ..

ونعود فنقول : ما حكمة الإسراء؟

يجيب على هذا التساؤل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .. فيتلو أولا هذه الأيات من سورة النساء، قال الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

هؤلاء الرسل هم ألسنة الإصلاح ودعاة الخير والتزكية التى يرتضيها الله لعباده، بها ينظمون فطرهم، ويكملون إنسانيتهم، ويصلون بها أقصى ما قدر لها من كمال. وتبعاً لتفاوت الأطوار التى درجت بها الإنسانية فضل الله بعض هؤلاء الرسل على بعض، حتى إذا وصلت

---

(١) سورة النساء: ١٦٣ ، ١٦٥ .

الإنسانية إلى مرحلة الرشد، وتأهلت لخوض غمار هذا الكون، والكشف عن أسراره، وتفتحت لها عيون الحكمة فيه، كان رسولها فى تلك المرحلة هو الرسول الأعظم، رسول الإكمال والإتمام، اللبنة الأخيرة التى بها يكمل البناء، ويتم الحسن والابداع .. «اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا»، «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ثم «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون.. ويقولون : لولا موضع اللبنة .. فأنا اللبنة .. وأنا خاتم النبيين».

وهكذا كان وضع محمد ﷺ من إخوانه السابقين، وبهذا الوضع رفعه الله درجات، وجعله مظهرا لكمال رحمته بالإنسان، وسجل له فى نفسه ورسالته وكتابه وأمته من درجات الفضل والرفعة والعزة، مالم يسجل لأحد قبله فى ناحية من هذه النواحى، ففى خاصة نفسه يقول الله تعالى له .. ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1] وتتوالى الأيات تكرم محمدا ﷺ وترفع ذكره ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]. والله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة الشرح: الآيات ١ - ٤.

(٢) سورة القلم: الآيات ١ - ٤ .

يضمن لمحمد الغاية التى ترضيه، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[1]

فلقد جاء بالرحمة للناس أجمعين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[2]

ثم هو رسول إلى الناس كافة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[3]

أما الكتاب الذى جاء به فهو هداية للتى هى أقوم ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[4] . وهو إعجاز للجن والإنس لا يأتون بمثله، مهما ظاهر بعضهم بعضا أو ساعد كل منهم الآخر ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[5]. وهو كتاب يجب اتباعه ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾[6] . فهو الحق المصدق لما بين يديه من الكتاب، والمهيمن عليه، ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[7]. أما الأمة التى آمنت به، واستضاءت بهديه فهى كما يقول عنها رب العالمين ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[8] . وهى الأمة الوسط،

---

(1) سورة الضحى: الآية ٥.

(2) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(3) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(4) سورة الإسراء: الآية ٩.

(5) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(6) سورة الزمر: الآية ٥٥.

(7) سورة آل عمران: الآية ٣.

(8) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

أى الأمة المثلى، التى لا تُفرط ولا تفرّط، بل هى شاهدة على الناس والرسول شاهد عليها ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١)

هذه بعض الدرجات التى رفع الله بها نبيه محمدا ﷺ، وليست نسبتها إلى ما وراءها من مراتب الكمال التى أنعم الله بها على عبده محمد، إلا كنسبة الرذاذ إلى الغيث الغزير، أو الوشل إلى الخضم الكبير.

وإذا كانت قلوب أتباعه مؤمنة بماله عند ربه من هذه المراتب، وكانت قلوب غيرهم تحترم الحق فتنظر إليه بعين الإجلال والتقدير، وبعين الواقع المحس المشاهد فيما أتيح للعقل البشرى من مخترعات- كان من السهل على الناس جميعا أن يؤمنوا بما قصه الله علينا، وقصه هو على صحابته فى حادث الإسراء والمعراج ..

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (٢)

فحادث الإسراء والمعراج لم يكن إلا درجة من درجات التكريم، ووسيلة من وسائل التثبيت، ولونا من ألوان الاختبار تجلى به سبحانه

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١ .

وتعالى على عبده ونبيه، وأسبغ عليه من بحار الفيض والإمداد ما تمكن به في مدة وجيزة أو ساعات معدودة أن يكشف عن طريق المعاينة كثيرا من آيات ربه وعجائبه، فى أرضه وسمائه، أسرى به من المسجد الحرام بمكة، إلى المسجد الأقصى بالشام، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى، إلى حيث شاء رب العزة والملكوت، رب القدرة والقهر، رب الأسباب والمسببات.

وهكذا محص الله بحادث الإسراء محمداً ﷺ، فتبين له الكاذب من الصادق قبل أن تهيأ له ظروف الهجرة ووسائل الجهاد فى سبيل الله، ودل به على عنايته برسوله، وتقريبه لجنابه، حتى كان فى الملأ الأعلى قاب قوسين أو أدنى .. تحت رعايته وحفظه بأعينه ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾[1].

حادث لا يعزب جلاله عن القلوب، ولا يجف مداده من الأذهان.. فهو شاخص على الدوام فى قلوب المؤمنين، وماثل فى أذهانهم، به يعرفون أن الله أكمل تربية نبيهم، وأعد قواه النفسية والعقلية والجسمية، ومحص أتباعه، وميز خبيثهم من طيبهم، لتحمل أعباء الرسالة العامة، ومتاعب الهجرة الشاقة، وتبعات الأخوة الدينية

(١) سورة الطور: الآية ٤٨، ٤٩.

التى ستفرضها الأحداث، ومشاق الجهاد فى سبيل الله، وهكذا يقول النبى ﷺ عن نفسه: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» . ويخاطبه ربه مذكرا له بأنعمه: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾[1].

ويعود بنا الشيخ شلتوت إلى مقدمات الإسراء والمعراج، إلى ذلك العام الذى سماه النبى ﷺ «عام الحزن».

يقول الشيخ : كان النبى ﷺ يدعو الناس إلى ربه، وله من عباد الله درعان: درع فى البيت يزمله ويحتضنه، ويبشره ويسرى عنه، ودرع فى الناس يذود عنه : زوجه خديجة وعمه أبو طالب، وقد ماتا فى عام واحد،فاشتد حزنه، وتلاحقت عليه أنواع الإيذاء، والكيد الساخر، ونالت منه قريش ما لم تكن تطمع فيه فى حياتهما، اعترضه السفهاء، ونثروا التراب فوق رأسه، وطرحوا سلا الجزور بين كتفيه، وهو قائم فى الصلاة، وخنقوه حتى كاد يموت، وهكذا تحالف عليه القدر والناس، وما كاد يخرج إلى الطائف يلتمس النصرة والمعونة حتى قوبل بأشد مما قوبل به من قومه، فيرجع وقد تقطعت فى نفسه وسائل الاستعانة بخلق الله، فيتجه إلى من بيده الأمر ، وتذوب نفسه بالضراعة، وينطلق لسانه بالدعاء : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٤.

تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أو إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بى غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

فى هذا الجو الرباني الخالص، يمد الله يده إلى عبده، ويضمه إليه، ويسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فيريه من آياته الكبرى ما يبدد عن نفسه الشريفة سحائب هذا الجو الأرضى الخانق، ويضىء له المستقبل بنصرة الحق وبلوغه ما يريد الله، فيزداد محمد يقينا على يقين، وإيمانا على إيمان بأن الذى أرسله وكلفه دعوة خلقه إلى توحيده هو صاحب هذه القدرة العظيمة التى أبدعت تلك الآيات، والتى أطلعته عليها فى وقت غير مألوف ، وعلى وجه غير معزوف، وهو بلا شك مطهره من هؤلاء الذين ضربوا عليه وعلى أصحابه حصار الذل والهوان، ثم ما فتئوا يصبون عليه الإيذاء والكيد حتى يقول أبو بكر رضى الله عنه: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله؟.

وهكذا ثبت نبيه، وحباه ذلك الفضل تكريما وإنعاما، فلنؤمن بحادث الإسراء، ولنؤمن بشأن الله مع نبيه الذى صنعه بيده، وحاكه بحكمته، ولا نسأل أكان بالجسم أم بالروح؟ أكان فى اليقظة أم فى

المنام؟ ولا كيف انتقل ؟ ولا كيف ارتفع، ألا وإن العلم الذى يفخرون به اليوم ليسخر كل السخرية من هذه الأسئلة، وإن الفيض لغزير، والاستعداد تام، والقدرة باهرة، وآيات الله فى الكون ناطقة شاهدة، لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

هذا هو حادث الإسراء والمعراج، وإذا كان لنا أن ننتفع بذكرياتنا فلنذكر به فضل الله على نبيه الذى جاهد فى تثبيت هذا الدين، وإسعاد الإنسانية به، ولننتهج فى ذلك خطته حتى نحوز رضا الله وإسعاده، ولنذكر به أيضا، أن الله فرض فى تلك الليلة على نبيه وأمته - وقد طويت المسافات، وزالت الحجب - خمس صلوات فى اليوم والليلة، أمرهم بالمحافظة عليها، وجعلها عليهم كتابا موقوتا، بها يناجون ربهم، وبها يقومون بواجب العبودية التى خلعت حلتها على نبيهم فى تلك الليلة. وبها يتغلبون على الشهوات والأهواء. وبها تغرس فى قلوبهم مكارم الأخلاق، ويطهرون نفوسهم من صفات الجبن والبخل والهلع والجزع، وبها يستعينون على مشاق الحياة كما استعان محمد بها على مشاق الحياة ومصائب القوم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[2].

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٢.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ (١).

الصلاة .. عبادة، لم يفرضها الله سبحانه وتعالى كما فرض غيرها من الواجبات والأركان، وإنما فرضها فى كوكبة من الملأ الأعلى، وفى جذوة من الإشراق والأنوار، تنويها بشأنها، ورمزا لمكانتها.

فلنذكر كل ذلك، ولنذكر أن الرسول ﷺ الذى نال فخر الإسراء، كان يحن دائما إلى مناجاة ربه، والوقوف بين يديه، حتى كان لا يجد له لذة إلا فى تلك المناجاة، فهو القائل «وجعلت قرة عينى فى الصلاة»، فهى طهرة للقلب، ومعراج للرب، وإسراء إلى ساحة الفضل، فمن شاء أن يسرى به ربه، وأن تعرج به ملائكة الرحمة، فليحافظ عليها، وليدم مناجاة ربه بها ، وليحسن وقوفه بين يديه : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾.

★ ★ ★

(١) سورة المعارج: الآيات ٢١ - ٢٣.

عبر ودلالات

فى كتابه «فقه السيرة ... دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى ﷺ وما تنطوى عليه من عظات ومبادئ وأحكام» يتكلم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى عن الإسراء والمعراج، ثم يعطينا العبر والدلالات، فيقول :

«لقد عانى رسول الله ﷺ ألوانا كثيرة من المحن التى لاقاها من قريش، وكان آخرها ما عاناه لدى هجرته إلى الطائف مما مر ذكره وبيانه، ولقد ظهر فى دعائه الذى ناجى به ربه بعد أن جلس يستريح فى بستان ابنى ربيعة ما يتعرض له كل بشر من الشعور بالضعف والحاجة إلى النصير، وذلك هو مظهر عبودية الإنسان لله سبحانه وتعالى، وظهر فى التجائه ذلك شىء من معنى الشكاة إليه جل شأنه، والطمع منه فى معونته ونصرته، وعافيته، ولعله خشى أن يكون الذى يلاقيه إنما هو بسبب غضب من الله تعالى عليه لأمرما، ولذلك كان من جملة دعائه قوله : «إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى».

فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج من بعد ذلك تكريما من الله تعالى له، وتجديدا لعزيمته وثباته، ثم جاءت دليلا على أن هذا الذى يلاقيه عليه الصلاة والسلام من قومه ليس بسبب أن الله تخلى عنه، أو أنه قد غضب منه، وإنما هى سنة الله مع محبيه ومحبوبيه، وهى سنة الدعوة الإسلامية فى كل عصر وزمن.

ويكتب الدكتور البوطى عن المعنى الموجود فى الإسراء به ﷺ إلى بيت المقدس فيقول:

«إن الاقتران الزمنى بين إسرائه عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس والعروج به إلى السموات السبع لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى، وفيه دلالة واضحة أيضا على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام، وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الواحد الذى ابتعثهم الله عز وجل به .

وفيه دلالة واضحة على مدى ما ينبغى أن يوجد لدى المسلمين فى كل وقت من الحفاظ على هذه الأرض المقدسة، وحمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الدين، وكأن الحكمة الإلهية تهيب بمسلمى هذا العصر ألا يهنوا ولا يجبنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود على هذه الأرض المقدسة، وأن يطهروها من رجسهم، ويعيدوها إلى أصحابها المؤمنين.

. لقد كان الإسراء والمعراج بكل من الروح والجسد معا، على ذلك اتفق جمهور المسلمين من المتقدمين والمتأخرين.. قال النووى فى شرح مسلم ما نصه: والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمتحدثين والمتكلمين أنه أسرى بجسده ﷺ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل ولا استحالة فى حملها عليه فيحتاج إلى تأويل» .

ويقول ابن حجر فى شرحه على البخارى: إن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسده وروحه، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواترت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغى العدول عن ذلك إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى دليل .

ومن الأدلة التى لا تقبل الاحتمال على أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح، ما ذكرنا من استعظام مشركى قريش لذلك، وتعجبهم للخبر وسرعة تكذيبهم له، إذ لو كانت المسألة رؤيا وكان إخباره إياهم لذلك على هذا الوجه، لما استدعى الأمر منهم أى تعجب أو استعظام أو استنكار، لأن المرئيات فى النوم لا حدود لها، بل ويجوز مثل هذه الرؤيا حينئذ على المسلم والكافر. ولوكان الأمر كذلك لما سألوه أيضا عن صفات بيت المقدس، وأبوابه وسواريه، بقصد الإلزام والتحدى.

أما كيف تمت هذه المعجزة وكيف يتصورها العقل، فكما تتم كل معجزة غيرها من معجزات الكون والحياة، وإن كل مظاهر الكون ليست فى حقيقتها إلا معجزات، فكما تتصورها العقول فى سهولة ويسر يمكن لها أن تتصور هذه أيضا فى سهولة ويسر.

ويحذر الدكتور البوطى قارئه وهو يبحث عن قصة الإسراء والمعراج، أن يركن إلى ما يسمى «معراج ابن عباس» فهو كتاب ملفق من مجموعة أحاديث باطلة لا أصل لها ولا سند، وقد شاء ذلك الذى فعل فعلته الشنيعة هذه، أن يلصق هذه الأكاذيب بابن عباس رضى الله عنه، وقد علم كل مثقف بل كل إنسان عاقل أن ابن عباس برىء منه، وأنه لم يؤلف أى كتاب فى معراج الرسول، بل وما ظهرت حركة التأليف إلا فى أواخر عهد الأمويين. ولما وقف دعاة السوء على هذا الكتاب ووجدوا فيه من الأكاذيب المنسوبة إلى رسول الله ﷺ ما يكفل زعزعة إيمان الكثير من الناس راحوا يروجون له ويدعون إليه، (وكان من بين من كتبوا عنه مادحا ومعظما الدكتور لويس عوض .. وما أدراك من هو لويس عوض) مع أنهم يعلمون قبل سائر الناس أنه كتاب مكذوب على ابن عباس، وأن أحاديثه كلها باطلة، ولكن الكذب سرعان ما ينقلب عندهم صحيحا إذا كان فيه ما يشوش أفكار المسلمين، ويلبس عليهم دينهم .

★ ★ ★

نكت الإسراء والمعراج

تدور على الألسنة كلمة «نكتة» بمعنى: «الفكاهة، أو الكلمة الساخرة المضحكة»، والحقيقة اللغوية لهذه الكلمة أنها النقطة الواضحة، المغايرة لكل ما حولها، أو هى الفائدة المستخرجة من كلام، لذلك تجىء اللفظة «نكتة» وجمعها «نكت» كثيرا فى أقوال المؤلفين بمعنى القول المتميز الواضح الذى يمكن أن يكون ثمرة للحديث الدائر بين شخصين أو عدة أشخاص .. ولم يخل حديث الإسراء والمعراج من عدة نكت ذكرها الحافظ السيوطى فى «الأية الكبرى فى شرح قصة الإسراء والمعراج» .. قال :

«نكت الإسراء والمعراج كثيرة والذى اخترناه منها هنا عشرون نكتة:

الأولى : تكلم الناس فى الحكمة فى الإسراء به أولا إلى بيت المقدس قبل المعراج، فقيل: ليحصل العروج مستويا من غير تعريج، لما

روى عن كعب الأحبار أن باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس، قال: وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا [1] . وقيل : ليجمع تلك الليلة بين القبلتين، وقيل : لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه فى الجملة ليجمع بين شتات الفضائل. وقيل: لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له فى تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية. فكان المعراج منه أليق. وقيل : للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسا ومعنى.

وقيل لإرادة إظهار الحق على من عاند، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر ﷺ أنه أسرى به إلى بيت المقدس سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ماذكره.

الثانية : استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء، وقال : إنما كان ذلك وهو صغير فى بنى سعد، كما قال أحمد: حدثنى حيوة ويزيد بن عبد ربه، قالا: حدثنا بقية، حدثنى بحير بن سعد، عن خالد

---

(١) هذا قول قد يتوقف العقل فيه، فما بين السماء والأرض لا يعلمه إلا الله. ثم ماذا ستفعل ثمانية عشر ميلا من المسافة قربا أو بعدا، بجانب قدرة الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

ابن معدان، عن ابن عمرو السلمى، عن عتبة بن عمرو السلمى أنه حدثهم أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها فى بهم لنا، ولم نأخذ معنا زادا. فقلت: يا أخى اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخى ومكثت عند البهم، فأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران . فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ قال : نعم، فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فبطحاني إلى القفا، فشقا بطنى، ثم استخرجا قلبى فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين. فقال أحدهما لصاحبه: ائتنى بماء ثلج فغسلا به جوفى.. ثم قال: ائتنى بماء برد فغسلا به قلبى، ثم قال: ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبى، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه. فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة. وقال ابن دحية فى معراجه، وابن المنير وغيرهما: الصحيح أن شق الصدر مرتين. قال شيخ الإسلام ابن حجر: بل ثلاث مرات. فقد ثبت أيضا عند البعثة، كما اخرجه أبو نعيم فى الدلائل . ولكل حكمة . فالأول كان فى زمن الطفولية، لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم عند البعث زيادة فى إكرامه، ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير، ثم عند الإسراء ليتأهب للمناجاة. قال: - أعنى شيخ الإسلام - ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ لحصول المرة الثالثة كما هى فى شرعه ﷺ فى الطهارة.

قلت: وهذه الحكمة من أعظم الحكم وألطفها وأدقها، وحقها أن تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب لارتفاع محلها.

ثم قال شيخ الإسلام: وهذا الذى ذكر من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له، ولا يصرف عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شىء من ذلك.

قلت: والأمر كذلك، ويؤيده الحديث الصحيح من أنهم كانوا يرون أثر المخيط فى صدره الشريف، وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوى، وإلزام قائله القول بقلب الحقائق الممتنع، فهو جهل صريح، وخطأ قبيح، نشأ من خذلان الله تعالى لهم، وعكوفهم على العلوم الفلسفية، وعدم إحاطتهم بالقدرة الربانية، وبعدهم عن دقائق السنة، عافانا الله من ذلك.

قال ابن المنير: وشق الصدر له ﷺ، وصبره عليه من جنس ما ابتلى به الذبيح وصبر عليه، بل هذا أشق وأجل، لأن تلك معاريض وهذه حقيقة، وأيضا فقد تكرر ووقع له وهو رضيع يتيم بعيد من أهله ﷺ، وقد اختلف، هل كان شق الصدر وغسله مخصوصا به أو وقع لغيره من الأنبياء.

الثالثة: الحكمة فى انفراج سقف بيته إلى ما سيقع من شق صدره، وأنه سيلتئم بلا معالجة.

الرابعة: الحكمة فى اختصاص الطست أنه أشهر آلات الغسل عرفا، والذهب لأنه أعلى أنواع الأوانى وأصفاها، ولأن فيه خواص ليست فى غيره، منها أنه من أوانى الجنة، وأنه لا تأكله النار ولا التراب، ولا يصدأ، وأنه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحى. وقال السهيلى وابن دحية: إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه، ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه، وإن نظر إلى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه ولثقله، والوحى ثقيل. وأما تحريم استعماله فهو مخصوص بأحوال الدنيا، وذلك كان من أحوال الغيب فيلتحق بأمور الآخرة.

الخامسة: قال ابن المنير: إنما كان الإسراء ليلا لأنه وقت الخلوة والاختصاص عرفا، ولأنه وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه فى قوله تعالى ﴿قم الليل﴾، وليكون أبلغ للمؤمنين فى الإيمان بالغيب، وفتنة للكافر، ولأن الليل محل الاجتماع بالأحباب. قال ابن دحية: ولإبطال قول الفلاسفة أن الظلمة من شأنها الإهانة والشر، وكيف يقولون ذلك مع أن الله تعالى أكرم أقواما فى الليل بأنواع الكرامات، كقوله فى قصة إبراهيم ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾[1]، وفى لوط ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾[2]، وفى موسى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾،

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٦.

(٢) سورة الحجر: الآية ٦٥.

وناجاه ليلا، وأمره بإخراج قومه ليلا، فى قوله ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ﴾[1] واستجابة دعاء يعقوب فيه، وهو المراد بقوله ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾[2] قال المفسرون: أخره إلى وقت السحر من ليلة الجمعة، وأظهر منه انشقاق القمر آية له ﷺ، وإيمان الجن به وتبلغيهم الوحى كان ليلا، مع تفضيله بسبقه النهار، أى تقدمه فى الخلق، والابتداء به فى جميع أى القرآن، وسبق الليلة يومها إلا عرفة، وفيه ساعة الإجابة وهى فى كل الليالى بخلاف الأيام فهى منها فى الجمعة فقط. وفى الليالى ليلة خير من ألف شهر، وهى ليلة القدر، وليس فى الأيام يوم كألف شهر، فضلا عن أن يكون خيراً منها. وأطيب السمر ليلا لخلو الفكر فيه، وألذ الوصال ليلا، بل هو وقته لقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾[3] وإشراق القمر فيه بخلاف النهار.

السادسة: قال ابن المنير: كانت كرامته ﷺ فى المناجاة على سبيل المفاجأة، كما أشار إليه بقوله «بينا أنا» وفى حق موسى ﷺ عن ميعاد واستعداد، فحمل عنه ﷺ عنه ألم الانتظار.

---

(١) سورة الدخان: الآية ٢٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٧.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٤٧.

السابعة: قال أيضا: يؤخذ من قوله «أسرى بعبده» مالا يؤخذ، أن لو قيل: بعث إلى عبده، لأن الباء تفيد المصاحبة، أى صحبه فى مسراه بالإلطاف والعناية والإسعاف.

الثامنة: قال ابن دحية: المعراج سلم من زمردة خضراء، وقال شيخ الإسلام ابن حجر: روى كعب أنه مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب، وروى ابن سعد أنه منضد باللؤلؤ.

التاسعة: سبق فى الأحاديث اختلاف فى أنه ﷺ صلى فى بيت المقدس بالأنبياء قبل العروج أو بعده، وصحح القاضى عياض وغيره أنه قبله، ويحتمل أنه كان بالأرواح خاصة، أو بها مع أجسادها، وأما رؤيته لهم فى السماء فمحمولة على رؤية أرواحهم، وأنها تشكلت بصورة أجسادهم إلا عيسى عليه السلام لأنه رفع بجسده، وكذلك إدريس أيضا، أو أحضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ تشريفا لهم وتكريما.

العاشرة: وقع اختلاف أيضا فى تقديم الأواني له هل هو قبل العروج أو بعده. قال ابن كثير وغيره: ولعلها قدمت له مرتين، لأنها ضيافة له ﷺ ، والضيافة من الكريم تكون أكثر من آنية خصوصا لمن يحب .

الحادية عشرة: الصحيح الذى تقرر من الأحاديث الصحيحة أن العروج كان فى المعراج لا على البراق، وتمسك بعضهم ببعض الروايات

السابقة، فقال أنه عرج عليه فبلغ السموات السبع فى سبع خطوات، لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه.

الثانية عشرة: قال ابن المنير: ذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف، يكون بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا ﷺ حتى جاوزه، فهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام.

الثالثة عشرة: استفتاح جبريل أبواب السماء، لأنها كانت مغلقة، وإنما لم تهيأ له بالفتح قبل مجيئه، وإن كان أبلغ فى الإكرام، لأنه لو رآها مفتحة لظن أنها لا تزال كذلك، ففعل ذلك ليعلم أن ذلك لأجله تشريفا، ولأن الله أراد أن يطلعه على كونه معروفا عند أهل السموات أيضا، لأنه قيل لجبريل لما قال محمد: أبعث إليه؟ ولم يقل: ومن محمد؟ مثلا ..

الرابعة عشرة: قول الخازن : أبعث إليه؟ ليس استفهاما عن أصل البعث، لأنه مشهور فى الملكوت الأعلى، بل البعث للمعراج، قال شيخ الإسلام ابن حجر: وفى قوله لجبريل: ومن معك؟ دليل على أنه أشعر بأن معه رفيقا .. وإلا لقال: أمعك أحد، وذلك إما بمشاهدة، لكون السماء شفافة، أو بأمر معنوى كزيادة أنوار أو نحوها، تشعر بتجدد أمر يحسن معه السؤال بهذه الصيغة.

الخامسة عشرة: الأضبط فى الروايات فى محل الأنبياء أن آدم فى السماء الأولى، ويحيى وعيسى فى الثانية، ويوسف فى الثالثة، وإدريس فى الرابعة، وهارون فى الخامسة، وموسى فى السادسة، وإبراهيم فى السابعة. واختلف فى الحكمة فى اختصاص كل منهم بالسماء التى التقاه فيها. فقيل: لا حكمة فى ذلك، وإنما أمروا بملاقاته فمنهم من سبق ومنهم من لحق. وقيل: للإشارة إلى تفاضل درجاتهم. وقيل: الحكمة فى الاقتصار على المذكورين الإشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم، فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض، بما سيقع له من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة، وكراهة فراق مألفه من الوطن، ثم كان عاقبة كل منهما أن رجع إلى موطنه الذى أخرج منه. وبعيسى ويحيى على ما وقع له أول الهجرة من عداوة اليهود، وتمالئهم على البغى عليه، وإرادتهم وصول السوء إليه، وبيوسف على ما وقع له من إخوته من قريش من نصبهم الحرب له وإرادتهم هلاكه. وكانت العاقبة له. وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح: أقول كما قال أخى يوسف ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾[1] وبإدريس على رفع منزلته عند الله. وبهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه، وبموسى على ما وقع له من معالجة

(١) سورة يوسف: الآية ٩٢.

قومه.. وقد أشار إلى ذلك بقوله ﷺ : لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر، وبإبراهيم فى استناده إلى البيت المعمور، بما ختم له فى آخر عمره من إقامة منسك الحج، وتعظيم البيت، ذكر ذلك السهيلى واستحسنه شيخ الإسلام ابن حجر، وقد ذكر فى مناسبة لقاء إبراهيم فى السابعة معنى لطيف آخر، وهو ما اتفق له الوصول إليها بعد الهجرة قبل هذه. بل قصدها فى السنة السادسة فصد عن ذلك، وقال ابن أبى جمرة: الحكمة فى كون آدم فى الأولى أنه أول الأنبياء، وأول الآباء، وهو أصل فكان أولا فى الآباء ، ولأجل تأنيس البنوة بالأبوة، وعيسى فى الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهدا من محمد ﷺ ، ويليه يوسف لأن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة على صورته، وإدريس قيل لأنه أول من قاتل للدين، فلعل المناسبة فيه الإذن للنبى ﷺ بالمقاتلة، ورفعه بالمعراج، لقوله تعالى: ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ والرابعة من السبع وسط معتدل، وهارون لقربه من أخيه موسى، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله. وإبراهيم لأنه الأب الأخير، فناسب أن يتجدد للنبى ﷺ بلقياه أنس لتوجهه بعده إلى عالم آخر ، وأيضا فمنزلة الخليل تقتضى أن تكون أرفع المنازل، ومنزلة الحبيب أرفع، فلذلك ارتفع عنه إلى قاب قوسين أو أدنى.

السادسة عشرة: قيل : اقتصر الأنبياء على وصفه بالصالح وتواردوا عليها، لأن الصلاح صفة تشمل خلال الخير، ولذا كررها كل منهم عند كل صفة.

السابعة عشرة: قال العلماء: لم يكن بكاء موسى وقوله ما قال حسدا - معاذ الله - فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، فكيف لمن اصطفاه الله، بل أسفا على مافاته من الأجر، الذى يترتب عليه رفع الدرجةبسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لنقص أجورهم المستلزمة لنقص أجره ، لأن لكل نبى مثل أجر من تبعه. ولهذا كان من اتبعه دون عدد من اتبع نبينا ﷺ ، مع طول مدتهم. وأما قوله : غلام فهو على سبيل التنويه بعظمة الله وقدرته وعظيم كرمه، إذ أعطى من كان فى ذلك السن ما لم يعطه أحدا قبله ممن هو أسن منه لا على سبيل التنقيص. قال الخطابى: والعرب تسمى الرجل المستجمع السن غلاما ما دامت فيه بقية من القوة، قال شيخ الإسلام ابن حجر: ويظهر لى أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا عليه الصلاة والسلام من استمرار القوة فى الكهولة إلى أن دخل فى أول سن الشيخوخة، ولم يدخل فى بدنه هرم، ولا اعترى قوته نقص، حتى إن الناس فى قدومه المدينة لما رأوه مردفا أبا بكر أطلقوا عليه اسم الشاب، وعلى أبى بكر اسم الشيخ، مع كونه فى العمر أسن منه.

الثامنة عشرة: قال القرطبى : الحكمة فى تخصيص موسى بمراجعة النبى ﷺ فى أمر الصلوات لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات، بما لم يكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى

على أمة محمد ﷺ من مثل ذلك، ويشير إليه قوله: إني قد جربت الناس قبلك. وقال شيخ الإسلام ابن حجر: يحتمل أن يكون موسى لما غلب عليه فى الابتداء الأسف على نقص حظ أمته بالنسبة إلى أمة محمد تمنى استدراك ذلك ببذل النصيحة لهم، والشفقة عليهم، ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه فى الابتداء.

التاسعة عشرة: اختلف هل رأى النبى ﷺ ربه ليلة المعراج على قولين مشهورين، فأثبت ذلك ابن عباس وطائفة، وأنكرته عائشة، والصحيح ثبوتها، قال أحمد: حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربى تبارك وتعالى» وقال الطبراني: حدثنا الهيثم بن خلف، حدثنا يزيد بن عمر بن البراء الغنوى، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثنا موسى بن سعد، عن ميمون العباد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : نظر محمد ﷺ إلى ربه؟ قال : نعم.. جعل الكلام لموسى، والخلة لإبراهيم، والنظر لمحمدﷺ، أخرجهما الحاكم فى مستدركه.

العشرون: ذكر ابن المنير المعراج، فقسمه إلى عشرة معاريج بعدد سنى الهجرة، فذكر السبعة إلى السبع سموات، وذكر مناسبته للسبع الأول من الهجرة، كما تقدم ، قال: والثامن المعراج إلى سدرة المنتهى، التى ينتهى إليها ما يعرج من الأرض وما ينزل من السماء. قال:

ومناسبته للثامنة من الهجرة أنها اشتملت على فتح مكة وهى أم القرى وإليهاالمنتهى، وقد غشيها - أى السدرة - الجراد، وهو جند من جنود الله كما فى الحديث، كما غشى مكة فى الفتح جند الله وحزبه. والتاسع المعراج إلى المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام، أى صريرها فى الصحف. وهذه الكتابة انتساخ من الأصل القديم المقرر الذى جف القلم منه بما هو كائن. ومناسبته للسنة التاسعة أن فيها غزوة تبوك، فخرج النبى ﷺ فى ثلاثين ألفا، وأعلم الناس بها، ولم يورِّ ليتأهبوا لها. ومع هذا الإشهاد والاستعداد لم يلق فيها حربا، ولا فتح بلدا فانتسخ العزم بالقدر وجفاف القلم. والعاشر : المعراج إلى الرفرف، وحينئذ لقى الله وسمع الخطاب، وحضر حضرة الأنس، ومناسبته للعام العاشر أمر بين واضح لأن فيه لقاء البيت، وإكمال الدين، وإتمام النعمة على المسلمين، وعقبه لقاء رب البيت، والانتقال إلى دار البقاء، والعروج بالروح الكريمة إلى المقعدالصدق والوعد الحق.

وأخيـــــرا . . .

فلقد شغل حادث الإسراء والمعراج المسلمين، على مدى قرون طويلة، ولا يزال يشغلهم، ويناقشون ويجادلون، وما ذكرناه فى هذه الصفحات إنما هو قليل من كثير مما قيل ويقال فى ذكر الإسراء والمعراج، ونعود إلى الآية الكريمة

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1]

فالآية تنبيه إلى أنه ينبغى أن يكون حديثنا عن الإسراء والمعراج حمدا لله وتنزيها له، وثناء عليه، إذ أنزل نبينا ﷺ هذا المنزل الكريم، ورفعه هذا المقام العظيم، وأفاض عليه ما أفاض من ألطافه ومننه، إذ تقول لنا الآية الكريمة ما معناه .. سبحوا الله، واحمدوا له أن أسرى بعبده محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأن أراه من آياته، وأسبغ عليه من آلائه ما هو أهل له عند ربه ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2].

فلله الثناء والتنزيه، وله الحمد فى الأولى والأخرة ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

★ ★ ★

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١. (٢) سورة الحديد: الآية ٢١.

(المراجع)

١ - سيرة ابن هشام ..

٢ - خاتم النبيين .. للشيخ محمد أبو زهرة

٣ - صحيح البخارى

٤ - فتح المنعم، شرح صحيح مسلم، للشيخ موسى شاهين لاشين.

٥ - تفسير ابن كثير.

٦ - مقالات وفتاوى للشيخ يوسف الدجوى.

٧ - من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت.

٨ - الإسراء والمعراج للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة.

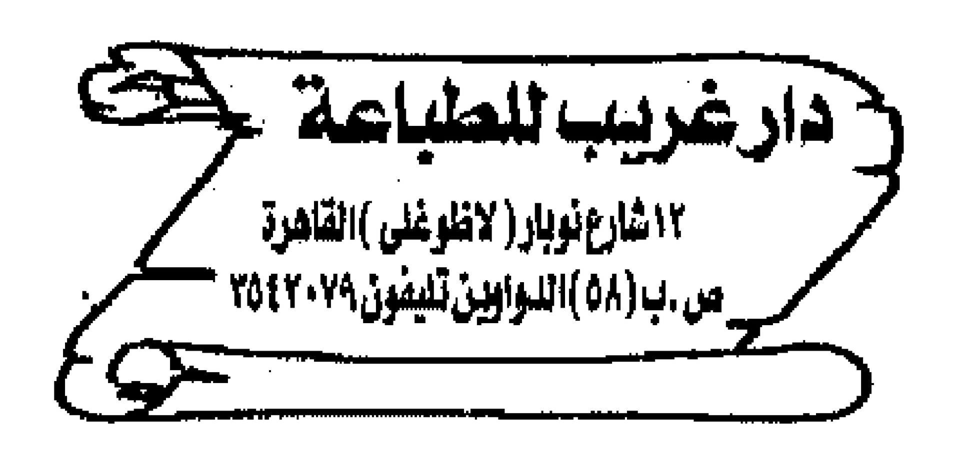
٩ - العقيدة الإسلامية وأسسها، الأستاذ عبد الرحمن حبنكة.

١٠ - فقه السيرة، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى.

تم بحمد الله

الفهـرس




دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩



دار غريب

الإسراء والمعراج

وأثرهما فى تثبيت العقيدة

الإسراء والمعراج إحدى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ،
والحديث عنها واجب من حيث إثبات الدلائل المعنوية والحسية
فيما يتعلق بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وهى رحلة لم تنته ، ولن تنتهى ، لأن المسلم يتذكرها فى
كل صلاة ، إذ فرضة الصلاة كما هى معروفة الآن فى تلك
الرحلة المباركة .

إن المسلم يلمس فى حديث الإسراء والمعراج من الإشعاعات
مايثبّت عقيدته ،ويزيده إيمانا ،ويرتكز على قاعدة إيمانية عميقة ،
عبر عنها أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذ قال :
إن كان قالها فقد صدق .

إنها رحلة تقول لكل مسلم :فلتكن كما كان أبو بكر ،صديقا
صادقا مصدقا ،وليكن لك فى صلاتك معراج تستهدى فيه
بمعراج رسول الله صلى الله عليه وسلم .